

المكتب المفيد
الإسلام ديننا
دُروس في السيرة
الثالث الإعدادي
لجنة المناهج
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ مـ





المحتويات

مقدمة لجنة المناهج

بسم الله الرحمن الرحيم

نظـرًا للحاجة العاجلة إلى مناهج تُلبّـي متطلبات مشاريع التعليم الدينـي الإسلامي لجميع المراحل -ابتدائـي، إعـدادي، ثانوي- وفق خطـة التعليم طوال السنـة وبمنهجية المراحل، وهـي حاجةٌ مُلِحَّةٌ لا تحتمـل التأخـير، ونظـرًا إلى أنَّ طبيعة العمل في إنجـاز كُتُبٍ دراسيَّة تُلبّي هـذه الحاجة بالصورة المطلوبـة، والتدقيق اللازم يأخذُ وقتًا طويلاً، فقد ارتـأت لجنة المناهج أن تقوم بإعداد هذه السلسلة بصـورة مؤقتـة، وبعجالة مـن أمرنا قمنا بجمع مـا توفَّر لنا من كُتُـبٍ تعليميَّةٍ وكرّاسـاتٍ من جهاتٍ موثوقـة، وقمنا بترتيبها وتقسيمها واختيار المناسـب منها، والتصرف في النصوص كثيرًا، مع إجراء مراجعة عامة للمحتوى.

فهذه المناهج المؤقتة مستفادة من عدَّةِ مصادر، وهي:

جميع المناهج المطبوعة للمجلس الإسلامي العلمائي في البحرين.

بعض مقرّرات مركز الهدى للدراسات الإسلامية.

بعض كرّاساتِ مشروع تعليم الصلاة والقرآن بقرية الدراز.

بعض مناهج جماعة الهُدى للتعليم في القطيف.

بعض إصدارات مركزِ المعارف للدراسات والبحوث الإسلامية.

تنويه مهم

يرجى من الأساتذة الكرام وإدارات التعليم الديني أن يتفضلوا بموافاتنا بملاحظاتهم واقتراحاتهم؛ لتعديل وتطوير هذه المناهج، وشكرًا.

١

الدرس الأول

الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ١

الدرس الأول

الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ١

أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن الطالب مراحل حياة الإمام علي عليه السلام.

٢. أن يميّز خصوصيّات مرحلة الإمام علي عليه السلام.

٣. أن يتعرّف إلى إنجازات الإمام علي عليه السلام في عهد الخلفاء وأيّام حكمه.

الإمام عليّ عليه السلام في سطور:

الولادة: ولد بمكّة في البيت الحرام، يوم الجمعة، ١٣ من شهر رجب، بعد عام الفيل بثلاثين سنة.

الشهادة: استشهد ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان سنة ٤٠هـ، وهو ابن ثلاث وستين سنة، قتله عبد الرحمن بن ملجم.

مدّة الإمامة: تُوفّي النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في ٢٨ صفر سنة ١١هـ، ومنذ تلك اللحظة صار عليّ عليه السلام إمام زمانه حتّى استشهد في ٢١ من شهر رمضان سنة ٤٠هـ، فتكون مدّة إمامته ٢٩ سنة ونصفاً، كانت سنين صعبة وحسّاسة جداً كان همّه الأساس فيها الحفاظ على هذا الدين كما نزل على الرسول الكريم مرّة بالموعظة وأخرى بالصبر وثالثة بالحرب.

ألقابه: سيّد الأوصياء، قائد الغرّ المحجّلين، الصدِّيق الأكبر، الفاروق الأعظم، قسيم الجنّة والنار، الوصيّ، أمير المؤمنين.

كنيته: أبو الحسن.

مدفنه: النجف الأشرف.

تمهيد

يمكن أن نقسّم حياة الإمام علي عليه السلام البالغة ٦٣ عاماً إلى المراحل الخمس التالية:

١. من الولادة إلى بعثة نبي الإسلام.

٢. ومن البعثة إلى هجرته صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة.

٣. ومن هجرة الرسول إلى وفاته صلى الله عليه وآله وسلم.

٤. من وفاة الرسول صلى الله عليه وآله حتى بداية خلافته عليه السلام.
٥. فترة خلافته عليه السلام.

١. من الولادة إلى بعثة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله

لم يكن عمره في هذه المرحلة يتجاوز العشرة أعوام، حيث لم يبلغ الرسول أكثر من ثلاثين عاماً حينما ولد الإمام، والرسول قد بُعث في الأربعين، إذن لم يكن لعلي عليه السلام عند البعثة أكثر من عشرة أعوام.

في أحضان النبي صلى الله عليه وآله

عاش علي عليه السلام خلال هذه المرحلة وهي الفترة الحساسة لتكوين شخصيته وتربيته روحياً ومعنوياً في بيت الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وفي ظل تربيته. وقد كتب المؤرّخون المسلمون حول ذلك: وفي إحدى السنوات أصابت قريشاً أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للعباس .وكان من أيسر بني هاشم: إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال فانطلق بنا فلنُخفّف عنه من عياله، آخذ منهم واحداً، وتأخذ واحداً فنكفيهما عنه، فوافق العباس، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، وفاتحاه بالأمر فوافق أبو طالب على هذا الاقتراح، فأخذ الرسول علياً فضمّه إليه، وأخذ العباس جعفراً، فلم يزل علي عليه السلام مع رسول الله في بيته حتى بعثه الله نبياً، فاتّبعه علي فأقرّ به وصدّقه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن أخذ علياً من أبيه: اخترت من اختار الله لي عليكم علياً .وقد أشار علي عليه السلام في الخطبة القاصعة إلى هذه الفترة: «وقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة. وضعني في حجره وأنا ولد يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه ويمسّني جسده، ويشمُّني عرفه. وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه...، ولقد كنت أتبعه اتّباع الفصيل أثر أُمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به».

الإمام علي عليه السلام في غار حراء

كان رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يُبعث. يجاور في غار حراء من كلّ سنة شهراً.. وقد دلّت الروايات على أنّ رسول الله كان يأخذ علياً معه إلى غار حراء. وحينما هبط ملك الوحي على النبي لأوّل مرّة وكرّمه بالرسالة كان علي بجانبه في ذلك الغار. وقد قال الإمام علي عليه السلام حول ذلك في الخطبة القاصعة:

«ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري... ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلاّ أنّك لست بنبي ولكنّك لوزير وإنّك لعلى خير».

٢. من البعثة إلى هجرته صلى الله عليه وآله إلى المدينة

استغرقت هذه الفترة ثلاثة عشر عاماً. وتشتمل هذه الفترة الزمنية على مجموعة كبيرة من الأعمال العظيمة والبارزة التي قدّمها الإمام عليه السلام في سبيل ازدهار ورفعة الإسلام.

أوّل من أسلم..

إنّ أُولى مفاخر الإمام علي عليه السلام في هذه المرحلة هي سبقه في الإسلام وتقدّمه، أو بعبارة أصحّ تجاهره بالإسلام القديم، لأنّه عليه السلام كان موحّداً منذ نعومة أظفاره ولم يتلوّث بالوثنية بتاتاً حتى يكون إسلامه عبارة عن الرجوع عن عبادة الأصنام كما هو الحال عند بقية الناس. و قد صرّح نبي الإسلام وقبل الكل بتقدّم علي عليه السلام وسبقه، قال هو صلى الله عليه وآله بين أصحابه: «أوّلكم وروداً عليّ الحوض أوّلكم إسلاماً علي بن أبي طالب». ويقول الإمام عليه السلام: «ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة وأشمّ ريح النبوة».

وصيّ رسول الله وخليفته..

استمرّت الدعوة السريّة مدّة ثلاث سنوات، وكان الرسول يدعو فقط وفي لقاءات خاصة الشخصيات التي كان يشعر بأنّها مستعدّة للإسلام. وبعد تلك الثلاثة أعوام هبط ملك الوحي وأبلغ أمر الله تعالى بأن يبدأ الرسول دعوته العامة من خلال دعوته أهله وعشيرته، وهكذا كان أمر الله: **﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾**[1] **﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[2] **﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾**[3].

فأمر النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بأن يعدّ وليمة غداء ويدعو خمسة وأربعين وجيهاً من وجهاء بني هاشم

(١) الشعراء:٢١٤

(٢) الشعراء:٢١٥

(٣) الشعراء:٢١٦

إليهـا وأن يعـد طعاماً من اللحم مع اللبن... وبعد حضورهم في الموعـد المحدّد وتناول طعامهم افتتح النبـي صلى الله عليه وآله وسلم كلمتـه قائـلاً: «إنّي واللّه ما أعلـم أنّ شاباً في العرب جاء قومه بأفضـل ممّا جئتكم به، إنّي قـد جئتكـم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكـم إليه فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر علـى أن يكون أخي ووصيـيّ وخليفتي فيكم؟» قال هذه الكلمة ووقف قليلاً ليرى من يُجيب دعوته، وفي هـذه الفترة ساد الحضور صمت عميق ممزوج بالحيرة والدهشة ناكسين رؤوسهم، وفجأة كسر علي عليه السلام ـ ولم يتعـدّ عمـره ١٤ عاماً ـ ذلـك الصمت ونهض ناظراً إلى الرسول، وقـال: أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه، ثمّ مدّ يده للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليكون ذلك عهداً للتضحيات.

وفي هذه الأثناء أمر الرسول علياً بالجلوس وأعاد ما قاله صلى الله عليه وآله وسلم مرّة أُخرى، وأعاد علي عليه السلام إعلانه عن استعداده مرّة أُخرى، وأمره الرسول بالجلوس أيضاً، وفي المرّة الثالثة أيضاً لم يقم كما في السابق أحـد سوى علي عليه السلام. فهو الوحيد الذي كان يقوم ويعلـن عن حمايته عن هدف رسول الله المقدّس، وفي هذه اللحظات ضرب بيده على يد علي وقال في حقّه وبحضور وجهاء بني هاشم المقولة الشهيرة: «هذا عليٌّ أخي ووصيّي وخليفتي فيكم» .

التضحية الكبيرة..

اجتمـع المشركـون سنـة أربع عشرة من البعثـة في دار الندوة وقرّروا قتل النبـي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن لم يكن قتـل رسـول الله بالأمر البسيط، ولهذا قـرّروا أن يعدّوا مـن كلّ قبيلة رجلاً شابّـاً حتى يهجموا على محمّـد صلى الله عليه وآله وسلم هجمة رجل واحد ويقطّعوه إرباً إرباً في فراشـه، وفي هذه الحالة لن يكون القاتل واحداً ولـن يستطيـع بنو هاشم الأخذ بثاره، لأنّهـم يعجزون عن محاربة جميع القبائـل ويرتضون لا محالة بقبول الفدية وتنتهي المسألة. اختارت قريش لتنفيذ خطّتها الليلة الأُولى من ربيع الأوّل. وقد ذكر الله تعـالى فيما بعد جميـع خططهم الثلاث وقال: **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾**[٤].

وإثـر قـرار قريش هذا أطلع ملك الوحي رسول الله على خطّة المشركين المشؤومة، وأبلغه أمر الله بأن اتـرك مكة واتّجه نحو يثرب. وهنـا كان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يُضلّلهم ويُخفي أثره حتى يُمكنه الخروج مـن مكـة، ولأجل ذلك كانت هناك حاجـة إلى شخصية مضحّية تبيـت في فراشه صلى الله عليه وآله وسلم ، كي يتصوّر المهاجمـون أنّه صلى الله عليه وآله وسلم ما زال هنـاك، وبالتـالي يركّزون على البيت ويغفلون عن الطرق ومراقبتها، ولم

(٤) الأنفال:٣٠

تكـن هـذه الشخصية سوى علي عليه السلام، ولهـذا كشف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن خطّـة قريش لعلي عليه السلام وقال: «امضِ إلى فراشي ونم في مضجعي والتف في بردي الحضرمي ليروا أنّي لم أخرج» فأطاع علي مـا أمر به، وحاصر جلاوزة قريش ومرتزقتهم بيت رسول الله وداهموه بسيوف مسلولة، فنهض عليٌّ من الفراش.

وقـد خلّـد القرآن المجيد تضحية علـي عليه السلام العظيمة هذه في التاريخ وقدمه ضمـن آية على أنّه من الذيـن يضحّون بأنفسهـم في سبيل الله: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[1]. قال المفسّرون: قد نزلت هذه الآية حول التضحية العظيمة لعلي عليه السلام ليلة المبيت. وقـد احتـج نفس الإمـام عليه السلام في الشورى السداسية التـي تشكّلت بأمر عمر لاختيـار الخليفة بهذه الفضيلـة الكبـيرة على أصحـاب الشورى وقال: «نشدتكم بـالله هل فيكم أحـد اضطجع على فراش رسول حين أراد أن يسير إلى المدينة ووقاه بنفسه من المشركين حين أرادوا قتله غيري؟ قالوا: لا».

---

(١) ﴿البقرة:٢٠٧﴾

٢

الدرس الثاني

الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٢

الدرس الثاني

الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٢

٣. من هجرة الرسول إلى وفاته صلى الله عليه وآله وسلم:

أ. علي عليه السلام أخو رسول الله

لمّا دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة قرّر أن يُبرم عقد الأُخوّة بين المهاجرين والأنصار من المسلمين، فقام يوماً في جموع المسلمين وقال: «تآخوا في الله أخوين أخوين» ثمّ تصافح المسلمون بعدها مصافحة الأخوّة. وبعد أن حصل كل واحد على أخيه من الحاضرين جاء علي عليه السلام وكان قد بقي وحده إلى رسول الله والدموع تفيض من عينيه وقال: «ما آخيت بيني وبين أحد» قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»، ثمّ آخى بينه - صلى الله عليه وآله وسلم وبين علي عليه السلام.

ب. جهاد علي عليه السلام

تخلّلت حياة علي عليه السلام منذ هجرة الرسول وحتى وفاته صلى الله عليه وآله وسلم أحداث كثيرة والتي منها بشكل خاص تضحياته العظيمة في الغزوات وجبهات الحرب. وقد كان لنبي الإسلام بعد هجرته إلى المدينة سبعٌ وعشرون غزوة مع المشركين واليهود والمتمرّدين، وقد شارك عليّ عليه السلام في ست وعشرين منها، ولم يشارك في غزوة تبوك للظروف الحرجة والحسّاسة التي كانت تُنذر بتدبير مؤامرة من قبل المنافقين عند غياب رسول الله عن مركز الحكومة الإسلامية، وبقي فيها بأمر من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. وعلى سبيل المثال نعرض دور علي عليه السلام في ثلاث ساحات من ساحات الجهاد الكبيرة في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

ج. في غزوة بدر

كانت غزوة بدر أوّل حرب بين المسلمين والمشركين بكلّ ما تعنيه كلمة الحرب من معنى، ولهذا السبب كانت تعد أوّل اختبار عسكري بين الجيشين. ومن هذه الناحية كان الانتصار فيها هامّاً للغاية. وقد اندلعت هذه الحرب في العام الثاني من الهجرة. وكان قد علم رسول الله بأنّ هناك قافلة تجارية لقريش يترأسها أبو سفيان عدو الإسلام القديم آتية من الشام تريد مكة، وحيث إنّها تمر من طريق على مقربة من المدينة انطلق رسول الله ومعه ٣١٣ نفراً من المهاجرين والأنصار باتجاه بدر.

ولمّا علم أبو سفيان بالأمر أبعد القافلة بسرعة عن منطقة الخطر من خلال سلوكه طريقاً جانبياً

يقع على ضفاف البحر الأحمر، وتزامناً مع ذلك طلب التعزيزات من قادة قريش في مكة. وعلى أثر استنجاده بقريش انطلق نحو ٩٥٠ إلى ١٠٠٠ نفر من محاربيها باتجاه المدينة، ووقعت الحرب في ١٧ رمضان كانت قوى الشرك ثلاث أضعاف قوى الإسلام، وانتهت الحرب بهزيمة ساحقة لجيش المشركين لدرجة انّه قد أُسر سبعون منهم، وكان قد هلك أكثر من نصف المقتولين بضربات سيف علي عليه السلام في هذه الحرب. وقد ذكر المرحوم الشيخ المفيد ثلاثة وثلاثين شخصاً من قتلى المشركين في غزوة بدر وكتب: «وقد أثبتت رواة العامّة والخاصّة معاً أسماء الذين تولّى أمير المؤمنين قتلهم ببدر من المشركين سوى من اختلف فيه وأشرك هو فيه غيره».

د. الشجاعة الفريدة في غزوة أُحد

أُصيبت قريش أثر هزيمتها في بدر بإحباط نفسي شديد، ولأجل تعويض هذه الخسارة والهزيمة الكبيرة والأخذ بثأر قتلاها قرّروا أن يهاجموا المدينة بقوّات مجهّزة كبيرة. ونقل رجال رسول الله وعيونه في قريش قرارها حول هذا الموضوع، فشكّل صلى الله عليه وآله وسلم لجنة عسكرية لمواجهة العدو، واقترح بعض من المسلمين أنّه من الأفضل للجيش الإسلامي أن يواجه العدو خارج المدينة. وانطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برفقة ألف مقاتل تاركاً المدينة متجهاً نحو شمالها، وتخلّف عنهم خلال المسير ثلاثمائة رجل من أتباع عبد الله بن أبيّ المنافق الشهير أثر تثبيطه وتحريضه لهم فتنزّل عدد القوات الإسلامية إلى سبعمائة مقاتل، وفي صباح اليوم السابع من شوال من السنة الثالثة للهجرة اصطفّ الجيشان متقابلين في وادي جبل أُحد. وقبل اندلاع الحرب درس نبي الإسلام (وبإلقاء نظرة عسكرية) ساحة الحرب وتفحّصها، وقد أثار انتباهه منفذ كان من الممكن أن ينفذ منه العدو ويهاجم المسلمين من الخلف، ولذلك وجّه شخصاً يُدعى عبد الله بن جبير مع خمسين رامياً وأقرّهم على تل حتى يمنعوا الاختراق المحتمل من ذلك المنفذ، وأمر صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا يُترك ذلك المنفذ الحسّاس بأي حال من الأحوال سواء انتصر المسلمون أم انهزموا.

وعلى أية حال هُزم جيش قريش وأراد مقاتل فرقة عبد الله بن جبير مغادرة موقعهم بمجرّد مشاهدتهم لهذا المشهد بدافع جمع الغنائم، فذكّرهم عبد الله بأمر الرسول فلم يعبأوا به، وانحدر منهم ما يزيد عن ٤٠ من التل لجمع الغنائم، وبقي عبد الله بن جبير مع ما يقل عن عشرة مقاتلين هناك. وفي هذه الأثناء كان خالد بن الوليد مع مجموعة من الفرسان يترصّدون للمسلمين، وحيث قد رأى ما هم عليه هاجمهم، وبعد القضاء عليهم واصل هجومه على المسلمين من الخط الخلفي،

فتغـيّرت معادلة الحرب كلّية واختلّ تناسـق وانسجام المسلمين العسكري والقتالي، وانهزم المسلمون، واستشهـد حـوالي سبعـين مقاتلاً من بينهـم: حمزة بن عبـد المطلب ومصعب بن عمـير، وكتب ابن الأثـير في تاريخـه: «... أبصر النبـي ﷺ جماعة من المشركين، فقال لعلـي: احمل عليهم ففرّقهم وقتّـل فيهم، ثمّ أبصر جماعة أُخرى فقال له: احمـل عليهم، فحمل عليهم وفرّقهم وقتل فيهم، فقال جبرائيـل: يا رسول الله هذه المواساة، فقال رسـول الله ﷺ «إنّه منّي وأنا منه» فقال جبرائيل: وأنا منكما، قال فسمعوا صوتاً يقول: «لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي».

و. في غزوة الأحزاب (الخندق)

كانت غزوة الأحزاب كما يبدو من اسمها حرباً اتّحدت فيها جميع القبائل والأحزاب المتعدّدة المعادية للإســلام للقضاء على الإسلام الفتي. وقد عدّ بعض المؤرّخين جيش الكفر في هذه الغزوة بأنّه تجاوز العشـرة آلاف مقاتل في حـين لم يتعدّ عدد المسلمين الثلاثة آلاف. وعندمـا أُعلم رسول الله بانطلاق قريشـ شكّل ﷺ لجنة عسكرية، وقد اقـترح فيها سلمان بأن يُحفر خندق عند منافذ المدينة ليمنع نفـوذ العـدو إليها، فقبل الرسول هذا الاقتراح وحفر الخندق بجهـود المسلمين خلال عدّة أيام، ذلك الخنـدق الـذي بلغ عرضه حدّاً يعجز فرسان العدو عن العبور قفـزاً من خلاله، وبلغ عمقه درجةً إذا دخله أحد لم يمكنه الخروج منه بسهولة.

وصـل جيش الشرك بتعاون من اليهود وكانوا يتصـوّرون أنّهم سيواجهون المسلمين في أطراف المدينة كمـا في السابـق، ولكن لم يجدوا لهم أثراً خارج المدينة هذه المـرة. وواصل الجيش تقدّمه فوصل إلى بوابة المدينة، وقد أثارت رؤية خندق عميق عريض حول منافذ المدينة دهشتهم، لأنّه لم يسبق للعرب أن استخدمتـه في حروبها، فاضطـروا إلى محاصرة المدينة من وراء الخندق، ووفقاً لبعض الروايات استمـرّ حصـار المدينة حـوالي الشهر، لذلك لم ير قـادة الجيش بدّاً من إرســال محاربيهم الأقوياء والشجعـان لاختراق الخندق وبشكل ينكسر فيه حاجز الحـرب المعلّقة، ومن هنا حاول خمسة أبطال مـن جيش الأحزاب استعراض قوّتهم بخيولهم حول الخندق واخترقوه من خلال منفذ ضيّق وصاروا إلى جانبـه الآخر وطلبـوا المبارزة من أقرانهم. وبعد أن عبروا الخندق رفـع «عمرو» صوته بنداء هل مـن مبــارز؟ وحينما لم ينهض أحد من المسلمين لمواجهته، تجرّأ أكثر واستهزأ بعقائد المسلمين وقال: تقولون إنّ من يُقتل منكم في الجنة ومن يُقتل منّا في النار، فهل من أحد أُرسله إلى الجنة أو يُرسلني

إلى النار؟ ثمّ أنشد أشعاراً كان منها:

ولقد بُححت من النداء لجمعكم هل من مبارز

وكان كلّما يرتفع نداء «عمرو» للمبارزة كان عليٌّ عليه السلام هو الوحيد الذي يقوم ويستأذن الرسول ليذهب إلى ساحة القتال، غير أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يوافق. وقد تكرّرت هذه الحالة ثلاث مرّات، وفي المرّة الأخيرة التي استأذن علي عليه السلام فيها قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّه عمرو بن عبد ود» فقال علي: «وأنا علي».

وفي النهاية وافق نبي الإسلام وأعطاه سيفه وألبسه عمامته، وما أن انطلق عليٌّ عليه السلام إلى ساحة القتال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «برز الإسلام كلّه إلى الشرك كله».

انطلق عليّ عليه السلام راجلاً نحو عمرو، وقال حينما واجهه: «إنّك كنت تقول في الجاهلية لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث إلّا قبلتها» قال: أجل، قال عليه السلام: «فإنّي أدعوك أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله وتُسلم للّه ربّ العالمين». قال: يا ابن أخي أخّر هذا عنّي، قال: «فأُخرى ترجع إلى بلادك، فإن يكن محمد صادقاً كنت أسعد الناس، وإن غير ذلك كان الذي تريد» قال: هذا ما لا تتحدّث به نساء قريش أبداً، وقد نذرت ما نذرت وحرّمت الدهن، قال: فالثالثة، «البراز» فضحك عمرو وقال: إنّ هذه الخصلة ما كنت أظنّ انّ أحداً من العرب يرومني عليها، إنّي لأكره ان أقتل مثلك وكان أبوك لي نديماً، فارجع فأنت غلام حَدَث... قال علي عليه السلام: «فأنا أُحبّ أن أقتلك».

غضب عمرو من قول علي، ونزل عن فرسه بكبرياء، وعقلها، وتقاتلا قتالاً شديداً، فأنزل عمرو ضربة قاصمة على رأس علي، فدفعها بترسه، فصار نصفين، وجـرُح رأسه عليه السلام ثمّ استغلّ علي الفرصة وضربه ضربة قوية، فألقاه صريعاً، وكانت الغبرة المثارة تمنع من رؤية القتال فسُمع التكبير ودبّ الفرح في قلوب المسلمين.

عندها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام في ذلك اليوم: «لو وزن اليوم عملك بعمل جميع أُمّة محمّد، لرجح عملك على عملهم، وذاك أنّه لم يبق بيت من المشركين إلّا وقد دخله ذل بقتل عمرو ولم يبق بيت من المسلمين إلّا وقد دخله عزّ بقتل عمرو».

خلاصة الدرس

- دامت إمامة الإمام علي عليه السلام ٢٩ سنة ونصفاً.
- عاش عليه السلام في أحضان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فتربّى على يديه روحياً ومعنوياً.
- كان أوّل من أعلن إسلامه عليه السلام بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وأوّل من صلّى خلفه.
- هو الوحيد الذي آزر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولبّى نداءه، حين دعا عشيرته الأقربين، ولم يكن يتجاوز عمره ١٤ سنة، وعندها أعلن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنّه عليه السلام خليفته ووصيّه من بعده.
- آخاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولم يؤاخِ غيره.
- شارك عليه السلام خلال حياته مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغزوات ومعارك كثيرة، أبرزها غزوة بدر وأحد والأحزاب.
- الغزوة الوحيدة التي لم يشارك فيها عليه السلام في زحف النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي غزوة تبوك، لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم استخلفه على المدينة، وقال له: «ألا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟».

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أسئلة الدرس

١. ***ما هي المراحل الخمس التي عاشها الإمام علي عليه السلام؟***

....

....

....

٢. ***تحدث عن الموقف الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحق علي عليه السلام «هذا عليّ أخي ووصيي وخليفتي فيكم».***

....

....

....

....

٣. ***تحدث عن غزوة الأحزاب.***

....

....

....

....

....

....

٤. ***ضع علامة صحّ أو خطأ في المكان المناسب:***

أ. وُلد الإمام علي عليه السلام في ٢٥ ربيع الأول (   )

ب. دامت إمامة الإمام علي عليه السلام ٢٩ سنة ونصف السنة (   )

جـ. دفن الإمام علي عليه السلام في النجف الأشرف (   )

د. الغـزوة الوحيدة التـي لم يشارك فيها الإمام علي عليه السلام في زمن الرسول هي غزوة «تبوك» (   )

هـ. الرجل الذي بارزه الإمام الإمام علي عليه السلام في يوم الخنق هو «عمرو بن العاص» (   )

للمطالعة

الإمام عليّ عليه السلام في غزوة ذات السلاسل

من مقامات الإمام عليّ عليه السلام المشهورة في غزوة وادي الرمل، ويقال: إنّها تسمّى غزوة السلسلة، أنّه خرج ومعه لواء النبيّ صلى الله عليه وآله بعد أن خرج غيره إليهم ورجع عنهم خائباً، ثمّ خرج صاحبه وعاد بما عاد به الأوّل، فمضى الإمام عليه السلام حتّى وافى القوم بسحَر، وصلّى بأصحابه صلاة الغداة وصفّهم صفوفاً واتّكأ على سيفه مقبلاً على العدوّ وقال: «يا هؤلاء أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وآله أن تقولوا: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وإلّا ضربتكم بالسيف».

فقالوا له: ارجع كما رجع صاحباك.

قال عليه السلام: «أنا أرجع! لا والله حتّى تسلموا أو لأضربنّكم بسيفي هذا أنا عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب».

فاضطرب القوم وواقعهم فانهزموا وظفر المسلمون وحازوا الغنائم، فروت أمّ سلمة قالت: كان النبيّ صلى الله عليه وآله قائلاً في بيتي إذ انتبه فزعاً من منامه فقلت: اللّه جارك.

قال صلى الله عليه وآله: «صدقتِ اللّه جاري، ولكن هذا جبرئيل يخبرني أنّ عليّاً قادم».

ثمّ خرج إلى الناس فأمرهم أن يستقبلوا عليّاً، وقام المسلمون صفّين مع رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا بصر به عليّ ترجّل عن فرسه وأهوى إلى قدميه يقبّلهما، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: «اركب، فإنّ اللّه ورسوله عنك راضيان».

فبكى عليه السلام فرحاً وانصرف إلى منزله. وقد ذكر بعض أصحاب السير أنّ في هذه الغزوة نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله ﴿**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا**﴾[1] إلى آخر الآيات.

---

(١) العاديات:١

٣

الدرس الثالث

الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٣

الدرس الثالث

الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٣

أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى دور الإمام علي عليه السلام في مرحلة الخلفاء.

٢. أن يتعرَّف الطالب إلى ظروف تسلّم الإمام علي عليه السلام للخلافة فعلياً.

٣. أن يعرف الملامح العامة لدولة الإمام علي عليه السلام.

٤. أن يحلِّل أسباب ونتائج معارك الإمام علي عليه السلام الثلاث.

وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقضية الخلافة

كان الإمام علي عليه السلام من الشخصيات البارزة في التاريخ الإسلامي. ولم يكن في العالم الإسلامي شخص يبلغ مستوى الإمام علي عليه السلام في الفضل والتقوى والرؤية الفقهية والقضائية والجهاد في سبيل الله تعالى وفي كافة الصفات الإنسانية العالية غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وبسبب هذه الجدارة رُشِّح عليه السلام من قِبَل رسول الله وبأمره تعالى في مناسبات عديدة لقيادة المسلمين وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأهمّها هو ما حدث في الغدير. ومن هنا كان من المتوقّع أنّه سيتولّى الإمام علي عليه السلام الخلافة وقيادة المسلمين غير أنّه لم يحدث ذلك من الناحية العملية، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأُقصي علي عليه السلام عن الساحة السياسية ومركز القرار في قيادة المجتمع الإسلامي.

وانطلاقاً من أنّ السلطة والمنصب ليسا هدفاً في القيادات الإلهية، فإنّ الإمام علياً عليه السلام قدّم حفظ أمور المسلمين على تسلم مقاليد الخلافة، مع تأكيده على حقّه. وقد أشار الإمام عليه السلام في كثير من المناسبات إلى صبره على انحراف الخلافة الإسلامية عن خطّها الصحيح بدافع الحفاظ على الإسلام، ومنها ما قاله في بداية تسلم عثمان السلطة: «لقد علمتم أنّي أحقّ الناس بها من غيري، ووالله لأسلمن ما سلمت أُمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلّا عليّ خاصة».

ويذكر الإمام علي عليه السلام في خطبة الشقشقية هذا المفترق الصعب والحسّاس والخيارين المصيريّين وسبب اختياره للخيار الثاني بهذا النحو: «فَسَدَلْتُ دُونَها ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْها كَشحاً، وطَفِقْتُ أرتَئي بَين

أن أصولَ بيد جَذّاء، أو أَصْبِرَ على طَخية عمياء، يَهْرَمُ فيها الكَبير وَيشيبُ فيها الصَغير، ويَكْدَحُ فيها مؤمِـنٌ حَتّـى يَلقى ربَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبرَ على هاتا أحجى، فصبرتُ وفي العَيْنِ قَذى وَفي الحَلْقِ شَجى، أَرى تُراثي نَهباً».

دور أمير المؤمنين عليه السلام في زمن الخلفاء

تركّزت نشاطات الإمام في هذه الفترة على الأُمور التالية:

١. الإجابة عن شبهات وتساؤلات علماء الأديان العالمية لا سيما اليهود والنصارى منهم الذين كانوا يتوافـدون إلى المدينـة للبحـث والاستقصاء حول دين النبـي بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم وما كانـوا يجدون من يجيب عن تساؤلاتهم سوى الإمام علي عليه السلام الذي بدت معرفته بالتوراة والإنجيل واضحة من خلال كلامـه معهم. ولولا أنّ علياً ملأ هذا الفراغ لـكان المجتمع الإسلامي يغطّ في انتكاسة كبيرة. وعندما كان الإمـام يُقدّم أجوبة مفحمة عن جميع الشبهات والتساؤلات كان الفرح والإعجاب الكبير يغمران الجالس خليفـة في مكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - بيـان الحكم الشرعي للمواضيـع المستحدثة - والتي لم يكـن لهـا سابقة في الإسلام - أو للقضايـا المعقّدة والغامضة بحيث يعجـز القضاة عن الحكم فيها. وتُشـكّل هـذه النقطة جانباً هامّاً من حياة الإمام، فلو لم تكن هناك شخصية كالإمام علي عليه السلام بين الصحابـة، تلك الشخصية التي هي أعلـم الأُمّة بشهادة واعتراف الرسول الكـريم وأعرفها بأُصول القضاء والتحكيم لظلّت هناك قضايا كثيرة عالقة من صدر الإسلام بلا حلول.

٢. عندمـا كانت الخلافة تصل إلى طريـق مسدود في القضايا السياسية وبعض القضايا والمشاكل الأُخـرى كان الإمام عليه السلام المستشار الوحيد والمعتمد الذي يُعالج المشاكل بموضوعية وحلول واضحة، وقـد جـاء بعض الاستشارات في نهـج البلاغة وكتب التاريـخ. ويشهد التاريخ بأنّ أبـا بكر وعمر كانا يراجعان الإمام في القضايا السياسية والدينية وتفسير القرآن والأحكام الفقهية للإسلام طيلة فترة خلافتهما وكانا يستفيدان من استشارته وإرشاداته وعلمه بأُصول الدين وفروعه، ونورد بعض الأمثلة من ذلك ممّا سجلته كتب التاريخ:

٣. كان الإمـام مستشاراً هاماً في معالجة كثير من المشـاكل السياسية والعلمية والاجتماعية في زمن الخليفـة الثـاني. وسنشير إلى مثـال واحد من مجموع المـرّات العديدة التي استعـان الخليفة الثاني

فيها بفكر الإمام في القضايا السياسية. وقعت في السنة الرابعة عشرة من الهجرة حرب طاحنة بين جيش الإسلام وجيش الفرس في القادسية، وانتهت بانتصار المسلمين وقتل «رستم فرّخ زاد» القائد العام للقوات الفارسية مع مجموعة من المقاتلين، وانضمّ بهذا الانتصار جميع أرجاء العراق إلى لواء الإسلام واستولى المسلمون على المدائن التي كانت مركزاً للملوك الساسانيين وتراجع قادة الجيش الفارسي إلى داخل أراضيهم.

وخشي المستشارون والعسكريون الفرس من أن يزحف الجيش الإسلامي إلى داخل أراضيهم ويستولي على جميع أرجاء البلاد بالتدريج. ولأجل مواجهة هذا النوع من الهجوم الخطير أعدَّ «يزدجرد» ملك فارس جيشاً قوامه مائة وخمسون ألف مقاتل بقيادة «فيروزان» حتى يصدّ أي هجوم مفاجئ، وإذا ساعدت الظروف يبدأ هو بالهجوم. وكتب سعد بن أبي وقاص القائد العام للقوات الإسلامية رسالة إلى عمر يُطلعه فيها على احتشاد العدو واستعداده واقترح مباغتة العدو بالحرب لإرعابه.

دخل الخليفة المسجد واستدعى كبار الصحابة، وأطلعهم على ما ينويه من ترك المدينة والانطلاق نحو مكان بين البصرة والكوفة ليقود الجيش من هناك، فقام طلحة في هذه الأثناء وشجّع الخليفة على ذلك وقال كلاماً تفوح منه رائحة التملّق جيداً، ثمّ قام عثمان بعد ذلك ولم يكتف بحثّ الخليفة على الانطلاق فقط، بل أضاف أن اكتب إلى جيش الشام واليمن بأن ينطلقوا جميعاً ويلحقوا بك حتى يمكنك من مواجهة العدو بهذا الجيش الكبير. وحينئذ قام أمير المؤمنين عليه السلام وقال: «إنّ هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلّة وهو دين الله الذي أظهره وجنده الذي أعدّه وأمدّه حتى ما يبلغ وطلع حيثما طلع، ونحن على موعود من الله والله منجز وعده وناصر جنده، ومكان القيّم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمّه، فإذا انقطع النظام تفرّق الخرز وذهب ثمّ لم يجتمع بحذافيره أبداً، والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام عزيزون بالاجتماع، فكن قطباً واستدر الرحى بالعرب وأصلهم دونك نار الحرب، فإنّك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك ممّا بين يديك».

إنّ الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب، فإذا قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشدّ لكلبهم عليك وطمعهم فيك. فأمّا ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين، فإنّ الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأمّا ما ذكرت من عددهم، فإنّا لم نكن نقاتل فيما

مضى بالكثرة، وإنّما كنا نقاتل بالنصر والمعونة. استجاب عمر لكلام الإمام بعد سماعه ولم يذهب .
ونظراً لهذه المعالجة والحلول قال عمر: أعوذ باللّٰه من مشكلة ليس لها أبو الحسن .

من الخلافة إلى الشهادة

كيف بويع أمير المؤمنين عليه السلام؟

أثار عثمان غضب الناس جرّاء فساده المالي والإداري وتصرّفه غير الشرعي في أموال المسلمين، وهكذا تنصيب بني أُميّة وأقربائه غير المؤهّلين في مناصب عالية، وتسليطهم على مقدّرات الأُمة وبالتالي تنحية الشخصيات الجديرة والمؤهّلة من المهاجرين والأنصار. وحيث إنّه لم يستجب لاعتراضات ومطالب المسلمين المتكرّرة والمشروعة فيما يتعلق بتنحية عمّاله وولاته الفاسدين، ثارت الثورة على حكومته وانتهت بقتله، ثمّ بايع الناس علياً خليفة للمسلمين.

إنّ أحد نماذج فساد حكومة عثمان هو إعادة الحكم بن أبي العاص وابنه مروان – الذي طرده النبي إلى الطائف – إلى المدينة، وهذا ممّا لم يجرأ حتى أبو بكر وعمر على فعله في خلافتهما، وزوّج مروان ابنته وولّاه مسؤولية ديوان الخلافة، ما أثار غضب الناس. وحوصر بيت عثمان مدة تسعة وأربعين يوماً من قبل الثوريين . وكلّما حاول عثمان الخضوع واللين كان مروان يثير غضب الناس أكثر. وفي النهاية داهم بعض الثائرين بيت عثمان وأردوه قتيلاً. وقد اتّفق المؤرخون على أنّ عثمان قتل في سنة ٣٥هجرية ولكنّهم اختلفوا في يوم ذلك .

وفي الوقت ذاته إنّ المتيقن به فصل أربعة أو خمسة أيّام بين مقتل عثمان وبيعة الناس للإمام علي عليه السلام .

وكان الناس في هذه المدة يعيشون حالة من الفوضى والضياع، وخلالها كان أصحاب الثورة يراجعون الإمام غير أنّه كثيراً ما كان يُبعد نفسه عن الأنظار، وحيث إنّهم كانوا يطالبونه بقبول بيعتهم وهو ما يزال يرى الظروف غير مناسبة لقبول الخلافة وأنّ الحجّة لم تتم عليه بهذا الاقتراح قال: «دعوني والتمسوا غيري فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وإنّ الآفاق قد أغامت والحجّة قد تنكّرت، واعلموا أنّي وإن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم، وأنا

لكـم وزيراً خيرٌ لكم منّـي أميراً». وحيث قد كثر توافد المسلمين علـى الإمام عليه السلام وازدحامهم عليه واكتظّـت داره بهـم وازداد إصرارهم عليه، تنفيساً عن عناء الاضطهـاد السابق وشوقاً إلى العدالة، شعر بالمسؤولية ولم ير بدّاً من قبول البيعة. وقد ذكر الإمام عليه السلام شغف الناس وإقبالهم وإصرارهم علـى بيعتـه في عدّة مواضع من نهج البلاغة والتي منها: «فتداكّـوا عليّ تداك الإبل الهيم يوم وردها، وقد أرسلها راعيها وخلعت مثانيها حتى ظننت أنّهم قاتلي أو بعضهم قاتل بعض ولدي» .

ويقـول في موضع آخـر: «وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، ثـم تداككتم عليّ تداك الإبل الهيـم على حياضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووُطئ الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إيّاي أن ابتهج بها الصغير وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل» .

وقـد تحدّث الإمام في خطبة أخرى عـن إقبال الناس عليه بحرارة وسرور وعن أسباب قبول الخلافة قائلاً: «... فما راعني إلّا والناس كعرف الضبع إليّ ينثالون عليّ من كلّ جانب حتى لقد وطئ الحسنان ، وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم، فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أُخرى وقسط آخـرون، كأنّهـم لم يسمعوا كلام الله سبحانه يقول: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾. بلى واللّه لقد سمعوها ووعوها، ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهـم وراقهـم زبرجها، أما والذي فلق الحبّـة وبرأ النسمة لولا حضـور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز».

٤

الدرس الرابع

الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٤

الدرس الرابع

الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٤

معالم حكومة الإمام علي عليه السلام:

علـى الرغـم من أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد واجه عقبات في أيّـام خلافته إلاّ انّه استطاع بلا شك أن يطرح نموذجاً ناجحاً للحكومة وفق تعاليم الإسلام ومعاييره والتي نذكر بعضها بإيجاز:

١. أشـار الإمـام علـي عليه السلام إلى أنّ فلسفـة قبوله للخلافة هـي لأجل إجراء العدالـة الاجتماعية في المجتمع على كافة المستويات لا سيما الاقتصادية، والاستفادة من الإمكانات العامة، ومكافحة الفوارق الطبقية الكبيرة في المجتمع.

٢. إنّ رؤيـة الإمـام علـي عليه السلام للحكم تتلخّص في أنّ الحكم والمنصب ليسـ إلّا وسيلة لخدمة الناس وإحقـاق الحـقّ ودحض الباطـل، لا أنّه طعمة تـدرّ الأرباح. وقد التـزم الإمام بهذا المنهـج إلى أبعد الحـدود، حتّى تـراه يجتنب عن إعطاء المهـام الحسّاسة كالولاية وبيت المـال إلى المتعطّشين للسلطة كطلحة والزبير وأمثالهما.

٣. لقـد عاش الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عند تصدّيه للخلافة غاية الزهد والبساطة في الحياة، كما كان يوصي عمّاله بالاعتدال والعزوف عن زخارف الدنيا وزبرجها. وهذه الخصوصية أي عزوفه عن زخارف الدنيا هي من أبرز خصائصه الذاتية وسيرة حكمه.

٤. إنّ المعيـار الـذي أكّـد عليه الإمـام عليه السلام في انتخاب الـولاة والعمّال، هو أن تكـون لهم سوابق في الإسـلام، وتقوى، وكفاءة في إدارة سدّة الحكم، والتـزام بقيم الإسلام وغيرها من المعايير. والشيء الـذي لم يخطـر ببال الإمام أبداً هو القرابة والعشيرة، كمـا يتضح ذلك حينما نصب (٥١) شخصاً كولاة وممثّلين عنه في الولايات والإمارات المختلفة، فتجد فيهم من المهاجرين والأنصار، وأهل اليمن، والهاشمي وغير الهاشمي، والعراقي والحجازي، الشاب والكهل، ولا تجد في هذه القائمة أثراً لأسماء الحسـن والحسين ومحمد ابن الحنفية وعبد الله بن جعفر (زوج زينب عليها السلام). وعلى الرغم من أنّ الإمام عليه السلام كان ينصب عمّالاً وولاة صالحين وكفوئين إلّا أنّه في الوقت نفسه كان يجعل عليهم

عيوناً لمراقبة تحركاتهم، ومن أبرز تلك النماذج كتاب تقريع بعثه الإمام عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عامله على البصرة وقد بلغه أنّه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها .

٥. لم يكـن الإمام يعتقـد - وخلافاً لمعظم الزعماء والرؤساء - بأنّ الغايـة تُبرّر الوسيلة، ولم يتوصّل إلى أهدافه المقدّسة النبيلة بوسائل غير مشروعة قطّ، كما يظهر من جوابه لمّا عوتب على التسوية في العطـاء وتصييره الناس أسوة فيه من غير تفضيل أصحاب السابقات والشرف: «أتأمروني أن أطلب النصـر بالجـور فيمن ولّيت عليه؟، والله لا أطور به ما سمر سمير، وما أمّ نجم في السماء نجماً! ولو كان المال لي لسوَّيت بينهم، فكيف وإنّما المال مال الله؟» .

القتال في ثلاث جبهات

حمّلت خلافة الإمام عليه السلام وقيادته - التي ساد فيها العدل وإحياء المبادئ والقيم الإسلامية الأصيلة - جماعتهـا عبـأ ثقيلاً ما أدّى إلى تشكيل خطٍّ معارض لحكومته، وانتهت هذه المعارضات إلى حدوث ثلاث حروب مع الناكثين والقاسطين والمارقين سنمرّ على كلٍّ منها مروراً سريعاً.

قتال الناكثين:

وقد كان سبب هذه الحرب مع الناكثين (ناقضي العهد) هو أنّ طلحة والزبير اللّذين بايعا الإمام علياً قـد طلبا منه أن يولّيهمـا أعمال البصرة والكوفة، ولكن الإمام رفض ذلك، فتركا المدينة سرّاً والتجآ إلى مكـة وجيّشـا جيشاً بأموال بيت المال المختلس مـن قبل بني أُمية وانطلقا نحـو البصرة واستوليا عليهـا. فتحرّك الإمـام علي عليه السلام تاركاً المدينة لمعالجـة أمر الناكثين، فحدثـت حرب طاحنة قرب البصرة انتهت بانتصار الإمام عليّ وهزيمة الناكثين، وهذه هي حرب الجمل التي لها مساحة كبيرة في التاريخ، والتي اندلعت سنة ٣٦ هجرية.

قتال القاسطين:

كان معاويـة قد أعدّ ومنذ فترة سبقت خلافة الإمـام علي عليه السلام مقدّمات الخلافة لنفسه في الشام، ومـا إن تسلـم الإمام الخلافة عزله عن الشام ولم يرض أن يقـرّه عليها لحظة واحدة. وكان حصيلة

هـذا النزاع أن تقاتل جيش العراق وجيش الشام في أرض تُدعى صفّين وكان الانتصار لجيش الإمام علي عليه السلام لولا خديعة معاوية برفع المصاحف التي أحدثت تمرّداً في جيش الإمام. وفي النتيجة وبعد الضغط الكبير على الإمام علي عليه السلام من قِبَل جيشه رضخ لتحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص لكي ينظرا في مصالح الإسلام والمسلمين.

وقد كان الضغط على أمير المؤمنين لأجل قبوله بالتحكيم كبيراً إلى حد أنّه لو لم يقبل به لأودى ذلك إلى موته

ولواجه المسلمون أزمة كبيرة. وبعد أن حان موعد إعلان رأي الحكمين خدع عمرو بن العاص أبا موسى وهو ما أدّى إلى إفشاء خطة معاوية الشنيعة بين الجميع، وبعد ذلك خرج بعض من المسلمين الذين كانوا في صف الإمام عليه وانتقدوه لقبوله التحكيم الذي فرضوه هم أنفسهم عليه. وقد حدث قتال القاسطين عام ٣٧ هجرية.

قتال المارقين:

والمارقون هم أُولئك الذين أجبروا علياً على قبول التحكيم، وندموا بعد عدّة أيام على ذلك، وطلبوا منه أن ينقض العهد من جهته، غير أنّ الإمام عليه السلام لم يكن بذلك الشخص الذي ينقض عهده، ولهذا خرجوا على الإمام ووقفوا ضدّه وقاتلوه في النهروان وقد عُرفوا بالخوارج لذلك. وانتصر الإمام في هذه الحرب، غير أنّ الأحقاد ظلّت دفينة في النفوس. اندلعت هذه الحرب في سنة ٣٨، وعلى رأي بعض المؤرّخين في سنة ٣٩ هجرية.

الشهادة: وأخيراً تضرّج الإمام عليه السلام بدمه على يد أحد المارقين وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادي في التاسع عشر من رمضان المبارك عام ٤٠ للهجرة أي بعد أربع سنوات وبضعة أشهر من حكومته عليه السلام.

خلاصة الدرس

- قدّم الإمام علي عليه السلام حفظ أمور المسلمين على تسلّم مقاليد الخلافة مع تأكيده على حقه. وقد أشار في كثير من المناسبات إلى صبره على انحراف الخلافة الإسلامية كما يظهر من كلامه في الخطبة الشقشقيّة.
- تركّزت نشاطات الإمام عليه السلام في زمن الخلفاء على أمور منها:

١. الإجابة عن شبهات وتساؤلات علماء الأديان العالمية كاليهود والنصارى.

٢. كان المستشار الوحيد والمعتمد الذي يعالج المشاكل السياسية وغيرها خاصة لدى أبي بكر وعمر ما أدى إلى حفظ الأمة من الضياع.

- بُويع عليه السلام من قبل الناس بعد أن أثار عثمان غضبهم جرّاء فساده المالي والإداري، وتصرّفه غير الشرعيّ في أموال المسلمين.
- أشار عليه السلام إلى أن فلسفة قبوله للخلافة هي لأجل إجراء العدالة الاجتماعية.
- تتلخص رؤيته عليه السلام للحكم في أن الحكم ليس إلا وسيلة لخدمة الناس.
- عاش عليه السلام عند تصدّيه للخلافة غاية الزهد والبساطة في الحياة.
- المعيار الذي اعتمده في تنصيب الولاة هو التقوى والكفاءة والالتزام.
- قاتل الناكثين (طلحة والزبير وعائشة) والقاسطين (معاوية...) والمارقين (الخوارج).

أسئلة الدرس

١. هل أظهر الإمام علي عليه السلام أحقيته في الخلافة؟ أعطِ شاهداً.

....

....

....

٢. ما هي أهم اهتمامات الإمام عليه السلام في زمن الخلفاء؟

....

....

....

٣. كيف بُويع الإمام عليه السلام؟ ومتى؟

....

....

....

٤. ضع علامة صحّ أو خطأ في المكان المناسب:

أ. لم يكن للإمام علي عليه السلام أي نشاط في زمن الخلفاء الثلاثة (   )

ب. قاتل الإمام عليه السلام القاسطين وهم الذين عرفوا بالخوارج (   )

جـ. قتل الإمام عليه السلام على يد عمرو بن ود العامري (   )

د. كان أبو بكر وعمر يراجعان الإمام عليه السلام في القضايا السياسية والدينية (   )

هـ. الضربة التي أدّت إلى استشهاده كانت في التاسع عشر من رمضان (   )

للمطالعة

مـرّت الإمامة منذ وفـاة الرسول ﷺ في صفر سنة ١١ هجرية وإلى وفـاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام في ربيـع الأوّل سنـة ٢٦٠هـ بأربع مراحل تقريباً، وكانـت كلّ مرحلة من هذه المراحل تمتاز من حيث مواقف الأئمّة تجاه السلطات الحاكمة بسمة معيّنة وهي:

أ. مرحلة الصبر والمداراة مع هذه السلطات، وتشتمل هذه المرحلة على جميع الخمس وعشرين سنة الممتـدة من عام وفـاة الرسول الكريم ١١ هجرية إلى بداية خلافة أمـير المؤمنين الظاهرية سنة ٣٥ هجرية.

ب. مرحلة تسلم الإمام للسلطة وهي تشمل تلك الأربع سنوات والتسعة أشهر من خلافة أمير المؤمنين، وبعضاً من الشهور من خلافة الإمام الحسن عليه السلام. وهذه المرحلة بالرغم من قصر مدّتها، وحدوث الاضطرابـات والأزمات التـي كان يثيرها أعداء الإســلام لهذين العظيمين عليهما السلام فهـي من أكثر سنيّ الحكومة الإسلامية ازدهاراً.

جـ. مرحلة المحاولة البنّاءة القصيرة الأمد لتشكيل الحكومة الإسلامية، وتشمل فترة العشرين عاماً الممتدّة من عقد صلح الإمام الحسن عليه السلام في سنة ٤١هـ إلى شهادة الإمام الحسين سنة ٦١هـ. وبعد الصلـح بـدأت عملياً نشاطات الشيعة النصف سرية مع خطط ترمـي إلى إعادة السلطة لأهل البيت عليهم السلام في الفرصة المناسبة. ولم تكن هذه الفرصة بعيدة وفقاً للحسابات المعتادة، وكان الأمل في تحقّقها موجوداً مع انتهاء حياة معاوية الشرّيرة.

د. المرحلـة الرابعـة هي متابعة هـذا المنهاج في برامج طويلـة الأمد. وقد استمـرّت قرابة قرنين من الزمـن توالت فيها الانتصارات والانتكاسات في فترات متعدّدة متواكبة مع النجاح الكاسح في المجال الأيديولوجـي والعقيدي المندمـج في مئات الأساليـب المتناسقة المكلّلة بـآلاف الأكاليل من الإخلاص والتضحية .

٥

الدرس الخامس

الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام ١

الدرس الخامس

الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام ١

أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن الطالب أسباب الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية.
٢. أنّ يعدّد بنود الصلح وشروطه.
٣. أن يحلِّل نتائج الصلح وآثاره.

الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام في سطور

الـولادة: ولـد ليلة الثلاثاء، النصف من شهر رمضان المبـارك، في السنة الثالثة للهجرة في المدينة المنوّرة .

الشهادة: استشهد عليه السلام في السابع من شهر صفر سنة ٥٠هـ وقد مضى وهو ابن سبع وأربعين سنة. استشهد مسموماً سمّته زوجته جعدة بنت الأشعث بدسيسة من معاوية بن أبي سفيان.

مـدّة الإمامة: بويـع بالخلافة في الحادي والعشرين من شهر رمضان سنـة ٤٠هـ، مدّة إمامته ١٠ سنين.

وقع الصلح بينه وبين معاوية سنة إحدى وأربعين.

ألقابه: الحجّة، الكفيُّ، السّبط، الوليّ.

كنيته: أبو محمّد.

مدفنه: المدينة المنوّرة - البقيع.

تمهيد:

إنَّ الظـروف الصعبة الّتي أحاطت بحياة الإمام المجتبـى عليه السلام جعلت من محطّات حياته ودراستها أمراً يحتاج إلى كثير من الدقّة والتمحيص والإنصاف، لأنّ الإمام عليه السلام قد عانى مظلوميّة من أهل زمانـه، ومظلوميّـة في صفحات التاريخ الإسلاميّ، سواء على مستوى فهـم حركته السياسيّة المباركة وصـولاً إلى الصلـح مع معاويـة، أم على مستوى بعض الاتّهامات التي لا تليـق بالإمام عليه السلام كتعدّد الزوجات المفرط وغير ذلك ممّا نشتمّ منه رائحة البيت الأمويّ.

وقد عهد الإمام عليّ عليه السلام إليه قبل شهادته بيومين قائلاً: «يا بُنيّ! أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودفع إليَّ كتبه وسلاحه وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن توصي بها إلى أخيك الحسين عليه السلام».

وبعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، خطب الإمام الحسن عليه السلام خطبة قال فيها: «أيّها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا ابن البشير، أنا ابن النذير... الخ». وبعد ذلك قام ابن عبّاس ودعا الناس إلى بيعته فاستجابوا وبايعوه قائلين «ما أحبّه إلينا وأحقّه بالخلافة». وينقل ابن أبي الحديد أنه: «كان عدد المبايعين له أكثر من أربعين ألفاً» .

شخصية الإمام الحسن عليه السلام في سطور

كتب السيوطي في تاريخ الخلفاء: كان الحسن له مناقب كثيرة، سيداً حليماً، ذا سكينة ووقار وحشمة، جواداً ممدوحاً . واشتهر بسخائه النادر فقد أنفق أموالاً طائلة في سبيل الله. وقد سجّل المؤرّخون والعلماء في حياته المفعمة بالفخر والاعتزاز سخاءه الفريد وعطاءه العظيم وهو ما لم يلحظ في سيرة أيّ من العظماء، ويدلّ ذلك أيضاً على عظمة نفسه وعلى عدم مبالاته بمظاهر الدنيا المخادعة، فقد كتبوا أنّه خرج من ماله للّه مرتين، وقاسم الله ماله ثلاث مرّات حتى كان يُعطي نعلاً ويمسك نعلاً .

جهاد الإمام الحسن عليه السلام قبل الإمامة

كان الإمام الحسن عليه السلام - كما يشهد التاريخ - شجاعاً مقداماً وشهماً، لا يعرف الخوف طريقه إليه، ولم يبخل يوماً في تقديم أي تضحية في سبيل تقدّم الإسلام وإعلاء كلمته، وكان دائم الاستعداد للجهاد في سبيل الله.

في حرب الجمل: كان الإمام الحسن عليه السلام يقاتل مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام جنباً إلى جنب وفي الخط الأمامي من ساحة القتال في حرب الجمل. و قبل بدء الحرب دخل الكوفة وبأمر من أبيه برفقة عمار بن ياسر وعدّة من أصحاب أمير المؤمنين ودعا أهلها للمشاركة في القتال . دخلها في الوقت الذي كان أبو موسى الأشعري أحد عمّال عثمان على الكوفة، وقد أبقاه الإمام لأسباب في منصبه وهو يعارض حكومة أمير المؤمنين العادلة ويثبط المسلمين عن الاصطفاف في جيش علي لمحاربة الناكثين،

غير أنّه ورغم ذلك استطاع أن يعبّئ جيشاً تعدّى التسعة آلاف مقاتل وبعث بهم إلى ساحة القتال.

في حرب صفيّن: كان لـه دور فاعل في تعبئـة القوات وإرسـال الجيش إلى قتـال معاوية في حرب صفين أيضاً، وكان يدعو أهل الكوفة إلى الجهاد إلى جانب أمير المؤمنين للقضاء على أعداء الإسلام وخونتـه. وقـد بلغ من استعـداده للتضحية في سبيل الحـقّ مبلغاً في حرب صفين جعـل أمير المؤمنين عليه السلام يطلب من أصحابه أن يمنعوه هو وأخاه الحسين من مواصلة القتال لئلاّ ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

صلح الإمام الحسن عليه السلام

١. دوافـع الصلـح ونتائجه: ولأجـل أن تتّضح دوافع صلحه عليه السلام ونتائجه جيـداً يجب علينا أن نتصفّـح التاريـخ وندرس هذا الموضوع في ضـوء الوثائق التاريخية الأصيلة. وينبغـي القول عموماً إنّ الإمـام الحسن عليه السلام لم يصالـح في الواقع بل فُرض الصلح عليـه، أي تعاونت الظروف المتردية مع العوامل الأُخرى بحيث أوجدت وضعاً جعل الصلح أمراً ضرورياً مفروضاً على الإمام ولم ير حلاً غير ذلـك، ذلـك أنّ الأوضاع والظروف خارج العالم الإسلامي والوضـع الداخلي في العراق ومعسكره هو عليه السلام، كلّ ذلك كان يدعو إلى عدم استمرارية الحرب.

٢. مـن ناحية السياسة الخارجية: فمن ناحية السياسة الخارجية لتلك الفترة لم تكن الحرب الأهلية الداخلية في صالح العالم الإسلامي، لأنّ الروم الشرقية التي كانت قد تلقّت ضربات قوية من الإسلام كانت تتحيّن الفرصة المناسبة دائماً لضرب الإسلام ضربة انتقامية كبيرة كي تأمن سطوته وسلطتـه. وعندما وصل نبأ اصطفاف جيشي الإمام الحسن ومعاوية أحدهما في وجه الآخر إلى قادة الـروم، راحوا يعتقدون أنّهـم حصلوا على أفضل فرصـة ممكنة لتحقيق أهدافهـم، ولذلك انطلقوا بجيشـ جرّار للهجوم على العالم الإسلامـي لينتقموا من المسلمين. وكتـب اليعقوبي المؤرّخ المعروف: ورجع معاوية إلى الشام سنة ٤١ وبلغه أنّ طاغية الروم قد زحف في جموع كثيرة وخلق عظيم، فخاف أن يشغله عمّا يحتاج إلى تدبيره وأحكامه، فوجه إليه فصالحه على مائة ألف دينار .

٣. مـن ناحيـة السياسـة الداخليـة: لقد كانـت حروب الجمـل وصفين والنهـروان والحروب الخاطفـة التي نشبت بين قوات معاوية وبين مراكز الحـدود في العراق والحجاز واليمن بعد التحكيم

قـد ولّدت عند أصحـاب الإمام علي حنيناً إلى السلم والموادعة، فقد مرت عليهم خمس سنين وهم لا يضعون سلاحهم من حرب إلاّ ليشهروه في حرب أُخرى، وكانوا لا يقاتلون جماعات غريبة عنهم وإنّما يحاربـون عشائرهم وإخوانهم بالأمس ومن عرفهم وعرفـوه الذين أصبحوا الآن في معسكر معاوية .
وقد عبّر الناس عن رغبتهم في الدعة وكراهيتهم للقتال بتثاقلهم عن حرب الفرق الشامية التي كانت تغـير على الحجاز واليمن وحدود العراق، وتثاقلهم عـن الاستجابة للإمام عليّ حين دعاهم للخروج ثانية إلى صفين.

فلما استشهد الإمام علي عليه السلام وبويع الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة برزت هذه الظاهرة على أشدّها وبخاصة حين دعاهم الإمام الحسن للتجهّز لحرب الشام حيث كانت الاستجابة بطيئة جداً. وعندما وصـل خـبر تحرّك جيش معاوية باتجاه الكوفة، أمر الإمام الحسن أن يجتمع الناس في مسجدها، ثمّ خطـب خطبـة وبعد أن أنهى خطبته المثيرة الجهادية، لزم الجميع الصمت ولم يستجب له أحد منهم ولا أيّـدوه بكلمـة. ويدلّ هذا الأمر على مـدى الخذلان والتثاقل الذي وصل إليـه أهالي العراق آنذاك حيث خمدت في نفوسهم نار الحماس والجهاد ولم يكونوا على استعداد لخوض القتال.

وأخـيراً، وبعد خطب بعضـ أصحاب الإمام الحسـن عليه السلام الكبار ومحاولاتهم لتعبئـة القوات وحثّ الناس على القتال، انطلق الحسن مع نفر قليل من الكوفيين متّجهاً نحو مكان يدعى «النُّخيلة» وعسكر هناك، وبعد انتظار لتعزيز القوات طال عشرة أيام اجتمع في معسكره أربعة آلاف مقاتل. ولأجل ذلك اضطر الإمام للعودة إلى الكوفة للمحاولة مرة أُخرى لتعبئة قوات أكثر.

٤. المجتمـع المتناقض: مضافـاً إلى ذلك لم يكن المجتمع العراقي في تلك الفترة مجتمعاً مترابطاً ومتّحـداً يسوده الانسجـام، بل كان مؤلّفاً من شرائـح وتيارات عديدة متناقضـة بينها لا يجمعها أي تفاهـم وتنسيـق، فقد كان هناك أنصـار الحزب الأموي الخطير، والخـوارج الذين يوجبون محاربة الفريقين، والمسلمون الموالي الذين وفدوا إلى العراق من مناطق أُخرى حيث قد بلغ عددهم العشرين ألفـاً، وأخيراً جماعة شكّاكـون بلا عقيدة ثابتة يتأرجحون بين تأييد هـذا التيار وذاك. هؤلاء جميعاً شكّلـوا المجتمـع العراقي في تلك الفترة، هذا مضافاً إلى تلك الشريحة التي تشايع خط أمير المؤمنين وأهل البيت .

٥. جيش متفكّك: وقد انعكست طبعاً ظاهرة التعدّدية العقائدية والتباين الفكري والتفكّك على جيش الإمام الحسن عليه السلام أيضاً وجعلت منه جيشاً لا يتمتع بالانسجام والتماسك، ولذلك كان من غير الممكن الاعتماد على هذا الجيش في مواجهة العدو الخارجي. وهكذا كان جيش الإمام الحسن يفتقد الوحدة والانسجام الضروريين في مواجهة عدو قوي كمعاوية.

وقد خطب الإمام نفسه عليه السلام خطبة جامعة حماسية في المدائن أي النقطة الأخيرة التي وصلها أعطى فيها صورة شاملة وواضحة عن طبيعة المجتمع العراقي وتخاذله في الحرب: «والله ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنّما كنّا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فسلبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في منتدبكم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، فأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وإنّا لكم كما كنّا ولستم لنا كما كنتم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون له وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، فأمّا الباقي فثائر، ألا وإنّ معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عزّ ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عزّ وجلّ بظباء السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا» . وما إن بلغ الإمام هذا الموضع من خطبته ناداه القوم من كلّ جانب: البقية البقية.

إذن كيف يمكن للإمام أن يواجه عدوّاً قوياً مثل معاوية بالاعتماد على مثل هذا الجيش الفاقد لروح الجهاد؟!

ومع هذا فقد أجمع المؤرّخون على أنّه عليه السلام جهّز جيشاً واستعد للقتال، غير أنّ انعدام الانسجام ووجود التحزّب في جيشه من ناحية، وتفكّكه قبل بدء الحرب ونشوب النزاع أثر مؤامرات معاوية الغادرة وخذلان الناس له من ناحية أُخرى، دفعاه إلى أن يوقف الحرب ويخضع للصلح والسلم، وعليه بدأ عمل الإمام بالتحرّك وإعلان الحرب وإعداد الجيش، وانتهى إلى الصلح والهدنة، وهو يدرك بعمق طبيعة المجتمع الإسلامي وظروفه ويهمه مصالح الأُمّة.

٦. شراء الضمائر والمؤامرات الغادرة: لقد قام معاوية بشراء ضمائر ضعاف النفوس من جيش الإمام عليه السلام كما حصل مع عبيد الله بن عباس حيث انشق مع ثمانية آلاف مقاتل من جيش الإمام عليه السلام، وراح معاوية وبدافع اختراق جيش الإمام الحسن وبث روح الفرقة والأراجيف من

خلال جواسيسه ومرتزقته يشيع بين جيش الإمام أنّ قيس بن سعد قد صالح معاوية، ويشيع في جيش قيس أيضاً أنّ الحسن بن علي صالح معاوية هو الآخر. وقد وصل بهم الأمر إلى أن أرسل معاوية عدّة ممن عُرفوا بحسن الظاهر لدى الناس للقاء الإمام الحسن فالتقوا به في معسكر المدائن، وبعد أن خرجوا من خيمته راحوا ينادون بصوت عال: إنّ الله قد حقن بابن رسول الله الدماء وسكن الفتنة وأجاب إلى الصلح. فصدّقهم الناس وكانوا يثقون بهم ولم يحاولوا استقصاء الحقيقة، فتمرّدوا على الإمام، وهاجموا خيمته وسلبوا ما فيها، ثمّ تفرّقوا بعد أن حاولوا قتله.

٦

الدرس السادس

الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام ٢

الدرس السادس

الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام ٢

رأي الإمام حول دوافع الصلح

ورداً علـى اعتراض أحدهم علـى صلحه وضع الإمام يـده على هذه الحقائق المريـرة، ووضّح دوافع مبادرتـه هذه بالنحو التالي: «والله ما سلمت الأمر إليـه، إلاّ أنّي لم أجد أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكنّي عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً، إنهم لا وفاء لهم ولا ذمة في قول ولا في فعل، إنّهم لمختلفون يقولون لنا إنّ قلوبهم معنا وإنّ سيوفهم لمشهورة علينا».

وقـد خطـب الإمام - و كان مستاء ومتأثّراً مـن تثاقل أصحابه وتخاذلهم - خطبة قـال فيها: «يا عجباً مـن أُناس لا دين لهـم ولا حياء، ويلكـم والله انّ معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنـه في قتلي، وإنّي إن وضعـت يدي في يـده فأُسالمه لم يتركني أدين لدين جـدي صلى الله عليه وآله وسلم، وإنّي أقدر أن أعبد الله عزّ وجلّ وحدي، وأيم الله لا رأيتم فرجاً ولا عدلاً أبداً مع ابن آكلة الأكباد وبني أُميّة وليسومنّكم سوء العذاب، وكأنّي أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسقونهم ويستطعمونهم بما جعله الله لهم فلا يسقون ولا يطعمون، ولو وجدت أنصاراً في قتال أعداء الله لما سلّمت الخلافة لمعاوية، لأنّها تحرم على بني أُميّة».

معاهدة الصلح وأهداف الإمام عليه السلام:

عندما ارتأى الإمام الحسن أنّ الحرب تتعارض مع المصالح العليا للمجتمع الإسلامي والحفاظ على كيـان الإسـلام ودخل في السلم اضطراراً للظـروف العصيبة التي أُشير إليهـا تفصيلاً مسبقاً، بذل قصارى جهده لضمان تحقيق أهدافه العليا والمقدّسة بأقصى ما يمكن من خلال هذا الصلح بطريقة سلمية.

ومـن ناحيـة أُخرى ولأنّ معاويـة كان مستعدّاً لأن يُقدّم أي نوع من الامتيـازات والتنازلات للدخول في السلـم وتسلم السلطة، لدرجة أنّه أرسل صحيفة بيضاء مختومة إلى الإمام كتب فيها: أن اشترط في

هذه الصحيفة ما شئت فهي لك ، استغل الإمام هذه الفرصة فكتب في معاهدة الصلح جميع القضايا الهامة والحسّاسة ذات الأولوية التي تمثّل مبادئه الكبيرة، وطلب من معاوية الالتزام بما جاء فيها.

ويمكننا حصر نص المعاهدة في خمسة بنود:

البند الأوّل: تسليم الأمر - الخلافة - إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنّة رسوله.

البند الثاني: أن تكون للحسن الخلافة من بعده، فإن حدث به حدث فلأخيه الحسين، وليس لمعاوية أن يعهد بها إلى أحد.

البند الثالث: أن يترك سبّ أمير المؤمنين والقنوت عليه في الصلاة، وأن لا يذكر علياً إلاّ بخير.

البند الرابع: استثناء ما في بيت مال الكوفة وهو خمسة ملايين درهم وتكون بحوزة الإمام الحسن، وأن يفضّل بني هاشم في العطاء والصلات على بني أُمية، وأن يفرّق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وصفين مليون درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار أبجرد .

البند الخامس: الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وأن يحتمل معاوية ما صدر من هفواتهم، وأن لا يتبع أحداً بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق بأحنة وحقد، وعلى أمان أصحاب علي حيث كانوا، وأن لا ينال أحداً من شيعة علي بمكروه، وأنّ أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقّب عليهم شيئاً ولا يتعرّض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كلّ ذي حقّ حقّه، وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت الرسول غائلة سراً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أُفق من الآفاق.

فكتب معاوية جميع ذلك بخطّه وختمه بخاتمه، وبذل عليه العهود المؤكّدة والأيمان المغلّظة، وأشهد على ذلك جميع رؤساء أهل الشام .

وهكذا تتحقّق نبوءة نبي الإسلام التي أطلقها عندما شاهد الحسن بن علي وهو لم يزل طفلاً من على منبره وقال: «هذا ابني سيد، ولعلّ الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

الاجتماع في الكوفة

دخل الجانبان الكوفة بقواتهما بعد إبرام معاهدة الصلح، واجتمعوا في مسجدها الكبير. والناس كانوا ينتظرون أن يتم التأكيد على بنود المعاهدة من خلال خطب قائدي الفريقين بمرأى ومسمع

منهــم حتى لا يبقــى مجال للشك والترديد في تطبيقها. ولم يكن هذا التوقّــع في غير محلّه فإنّ إيراد الخطبــة كان جزءاً من الصلح، ولذلك ارتقى معاوية المنبر وخطب خطبة غير أنّه ليس فقط لم يؤكد علــى بنــود المعاهدة، بل قال مستخفّــاً ومستهتزئاً: أترونى قاتلتكم على الصــلاة والزكاة والحج وقد علمــت أنّكم تصلّون وتزكّون وتحجّون! ولكنّــي قاتلتكم لأتأمّر عليكم وألي رقابكم. ثمّ قال: ألا وإنّ كلّ شرط وشيء أعطيت الحسن بن علي تحت قدمي هاتين. وهكذا داس معاوية كلّ ما تعهَّد به وشرطه، ونقض معاهدة الصلح علانية.

جرائم معاوية

وتبعــاً لهذه السياسة لم يكتف معاوية بعدم إجراء تعديل على طريقته هذه في التعامل فقط، بل ازداد طغيانــاً وإجراماً أكثر مــن السابق، فقد أشاع بدعة سب أمير المؤمنــين وهتك حرمة ساحته المقدّسة أكــثر ممّا مضــى، وضيّق الخناق علــى الشيعــة وأصحاب علي الكبــار الأوفياء لدرجــة كبيرة، وقتل شخصية بارزة كحجر بن عدي وجماعة آخرين من الشخصيات الإسلامية الكبيرة، وتصاعد القتل والتنكيــل والاضطهاد لشيعة علي حتى أصبح الشيعة بشكل عــام إمّا سجناء أو مفقودين أو مشرّدين بعيداً يعيشون في أجواء يسودها الرعب والخوف.

أسباب الصلح في الروايات:

إنّ الروايــات التــي تعرّضــت لصلح الإمام الحسن عليه السلام مــع معاوية قد نستفيد مــن أكثرها أنّ هذه الخطــوة الدقيقــة والخطيرة التي قام بها الإمــام عليه السلام لم تكن واضحة لدى أذهــان أكثر الناس ما شكلّ ضبابيّة في فهم موقفه عليه السلام. وهذه الروايات يمكن تقسيمها إلى قسمين:

<u>الأوّل</u>: روايــات تؤكّد علــى أنّ الصلح له مصلحة عظيمة ومهمّة من دون ذكــر الأسباب أو الدّواعي لهذا الصُّلح.

منهــا: الرِّوايــة عن الإمام الباقر عليه السلام قــال: «يا سدير اذكر لنا أمرك الذي أنــت عليه فإنّ كان فيه إغراق كفمناك عنه، وإن كان مقصّراً أرشدناك».

إلى أن قــال عليه السلام: «أمســك حتّى أكفيك، إنّ العلم، الذي وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند عليّ عليه السلام، من عرفه كان مؤمناً ومن جحده كان كافراً ثمّ كان من بعده الحسن عليه السلام قلت: كيف يكون بتلك المنزلة، وقــد كان منــه ما كان دفعهــا إلى معاوية؟ فقال: اسكت فإنّــه أعلم بما صنع، لولا مــا صنع لكان أمر

عظيم» .

الثاني: روايات تؤكّد على أهمّية الصلح وتذكر الأسباب الداعية إليه.

منها: الرواية المرويّة عن نفس الإمام المجتبى عليه السلام عن أبي سعيد قال: قلت للحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله لمَ داهنت معاوية وصالحته، وقد علمت أنّ الحقّ لك دونه وأن معاوية ضالّ باغٍ؟

فقال عليه السلام: «سخطتم عليّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه ولولا ما أتيت لما تُرك من شيعتنا على وجه الأرض

أحدٌ إلا قُتل» .

خلاصة الدرس

- إنّ الظروف الصعبة التي أحاطت بالإمام المجتبى عليه السلام جعلت من محطّات حياته ودراستها أمراً يحتاج إلى كثير من الدقة.
- كان الإمام عليه السلام كما يقول السيوطي له مناقب كثيرة رشيداً حليماً، ذا سكينة ووقار وحشمة، جواداً ممدوحاً واشتهر بسخائه النادر...
- شارك عليه السلام في حرب الجمل وحرب صفين.
- من دوافع الصلح الذي عقده بينه وبين معاوية:

١. الوضع السياسي الخارجي، حيث كان الروم يتحيّنون الفرصة لضرب الإسلام، وتأزم الوضع الداخلي وإشعال حرب داخلية كان من الممكن أن تساعدهم على ذلك.

٢. الشعور بضرورة تهدئة الوضع الداخلي، بعد أن أنهك المسلمون بحروب الجمل وصفين والنهروان، فكان لا بدّ من المهادنة نوعاً ما.

٣. عدم ترابط وتكاتف المجتمع العراقي آنذاك.

٤. التباين الفكري والعقائدي بين أفراد جيش الإمام عليه السلام.

٥. ضعف النفوس التي استطاع معاوية استغلال أصحابها وثنيهم عن الاستمرار خلف الإمام عليه السلام.

أهم بنود الصلح

الأول: تسليم الأمر لمعاوية على شرط العمل بكتاب الله وسنة رسوله.

الثاني: أن تكون الخلافة للحسن من بعده.

الثالث: أن يترك سب الأمير عليه السلام.

الرابع: إعطاء الأمان للموالين والعلويين.

أسئلة الدرس

١. ***إشرح بإيجاز الظروف التي كانت محيطة بتسلم الإمام الحسن عليه السلام للخلافة.***

....

....

....

٢. ***ما هي أهمّ الأسباب التي دعت الإمام عليه السلام لإجراء الصلح؟***

....

....

....

٣. ***ما هي أهمّ بنود الصلح؟***

....

....

....

٤. ***ضع علامة صحّ أو خطأ في المكان المناسب:***

أ. ولد الإمام الحسن عليه السلام في النصف من شهر رمضان المبارك. (   )

ب. لم يشارك الإمام الحسن عليه السلام في أي حرب من الحروب. (   )

جـ. أظهر الإمام الحسن عليه السلام استياءه من أصحابه وجيشه. (   )

د. الصلح لا يعني البيعة. (   )

هـ. موضع قبره الشريف في الكوفة. (   )

للمطالعة

ظروف الصلح مع معاوية

قال اليعقوبيّ المؤرِّخ في تاريخه: أقام الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام بعد أبيه شهرين، وقيل أربعة أشهر، ووجّه بعبيد الله بن العبّاس في اثني عشر ألفاً لقتال معاوية، ومعه قيس بن سعد بن عبّادة الأنصاريّ، وأمر عبيد الله أن يعمل بأمر قيس بن سعد ورأيه، فسار إلى ناحية الجزيرة، وأقبل معاوية لّما انتهى إليه الخبر بقتل عليّ، فسار إلى الموصل بعد قتل عليّ بثمانية عشر يوماً، والتقى العسكران، فوجّه معاوية إلى قيس بن سعد يبذل له ألف ألف درهم على أن يصير معه أو ينصرف عنه، فأرسل إليه بالمال، وقال له: تخدعني عن ديني! فيقال: إنّه أرسل إلى عبيد الله بن عبّاس وجعل له ألف ألف درهم، فصار إليه في ثمانية آلاف من أصحابه، وأقام قيس على محاربته. وكان معاوية يدسّ إلى عسكر الحسن من يتحدّث أنّ قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار معه، ويوجّه إلى عسكر قيس من يتحدّث أنّ الحسن قد صالح معاوية، وأجابه. ووجّه معاوية إلى الحسن المغيرة بن شعبة، وعبد الله بن عامر بن كريز، وعبد الرحمن بن أم الحكم، وأتوه، وهو بالمدائن نازل في مضاربه، ثمّ خرجوا من عنده، وهم يقولون ويسمعون الناس: إنّ الله قد حقن بابن رسول الله الدماء، وسكّن به الفتنة وأجاب إلى الصلح، فاضطرب المعسكر ولم يشكّك الناس في صدقهم، فوثبوا بالحسن فانتهبوا مضاربه وما فيها، فركب الحسن فرساً له ومضى في مظلم ساباط، وقد كمن الجرّاح بن سنان الأسديّ، فجرحه بمعول في فخذه، وقبض على لحية الجرّاح ثمّ لواها فدقّ عنقه. وحُمل الحسن إلى المدائن وقد نزف نزفاً شديداً، واشتدّت به العلّة، فافترق عنه الناس، وقدم معاوية العراق، فغلب على الأمر، والحسن عليل شديد العلّة، فلمّا رأى الحسن أنّ لا قوّة به، وأنّ أصحابه قد افترقوا عنه فلم يقوموا له، صالح معاوية، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيّها الناس! إنّ الله هداكم بأوّلنا وحقن دماءكم بآخرنا، وقد سالمت معاوية، وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين .

٧

الدرس السابع

الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام ١

الدرس السابع

الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام ١

أهداف الدرس

١. أنّ يتعرّف الطالب إلى الخصائص القياديّة للإمام الحسين عليه السلام.

٢. أنّ يستذكر ملامح عصر الإمام عليه السلام.

٣. أنّ يتبيّن ضرورة النهضة الحسينيّة في كربلاء.

الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام في سطور

الولادة: وُلد في الثالث من شهر شعبان بالمدينة، سنة أربع من الهجرة.

الشهادة: استشهد في يوم السبت العاشر من المحرّم، سنة إحدى وستّين من الهجرة بعد صلاة الظهر، قتيلاً مظلوماً ظمآن صابراً محتسباً، وله يومئذ ثمان وخمسون سنة.

مدّة الإمامة: إحدى عشرة سنة.

ألقابه: السيّد، الطيّب، الوفيّ، المبارك، النافع، الدليل على ذات الله، السبط، التابع لمرضاة الله.

كنيته: أبو عبد الله.

مدفنه: كربلاء المقدّسة.

تمهيد

لقد نهض الإمام الحسين عليه السلام وضحّى بدمه ودماء أهله الطيّبين من ذرّيته وأصحابه، فكانت نهضته المباركة حياة للإسلام ليستلهم المسلمون من حركته التي بقيت حيّة نابضة في مختلف المجتمعات. ولذلك حاول المستكبرون في كافّة العصور إخماد نورها ونارها المحرقة للظالمين، ولكنَّ المشيئة الإلهيّة تغلّبت على هؤلاء الظالمين، لتبقى نهضة الإمام الحسين عليه السلام خالدة على مرّ العصور.

مراحل حياة الإمام عليه السلام

يهمنا في هذا الدّرس أن نبحث في فترة تسلّم الامام الحسين عليه السلام للقيادة والإمامة بعد شهادة أخيه الإمام الحسن عليه السلام والّتي استمرّت ما يقارب عشر سنوات كان الإمام يقارع فيها الحكم الأمويّ.

هذه المرحلة يمكن تقسيمها إلى قسمين:

أ. مرحلة ما قبل النهضة في عاشوراء (كربلاء).

ب.مرحلة نهضة الإمام عليه السلام في عاشوراء.

وما سنتعرّض له في هذا البحث هو مرحلة عاشوراء التي تجلّى فيها الجهاد المسلّح ضد الحاكم المنحرف.

الخصائص القياديّة للإمام الحسين عليه السلام

قبل الكلام عن هذه الحركة التغييرية، وعن ملامح عصر الإمام عليه السلام وعن الأسباب والنتائج لعاشوراء من الجيّد أن نلفت النظر إلى شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام وصفاته وبعض الملامح العامّة لهذه الشخصيّة.

١. قوّة الإرادة: ويكفي أن نرى قوّة الإرادة عنده من إصراره على إنهاء المسيرة حتّى النهاية مع عائلته وأولاده رغم سماعه نبأ استشهاد مسلم بن عقيل رضوان الله عليه، في جوّ لا يطمئن بأيّ حسم عسكريّ لصالحه، بل في ظروف يعلم أنّه ملاقٍ فيها الشهادة، وهو القائل: «لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً».

٢. إباء الضيم: لقب «أبيّ الضيم» من أهمّ ألقابه المباركة، وقد قال عنه ابن أبي الحديد المعتزليّ: «سيّد أهل الإباء الّذي علّم الناس الحميّة والموت تحت ظلال السيوف اختياراً على الدّنيّة أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب عُرض عليه الأمان هو وأصحابه فأنف من الذلّ، وخاف ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان مع أنّه أبى الموت على ذلك».

وهو الذي خلّد لنا التاريخ كلمته المشهورة الّتي تنبض بالعزّة والكرامة: «ألا إنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلّة وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة، من أن نؤثر طاعة اللّئام على مصارع الكرام».

٣. الشجاعة: ومواقف عاشوراء كلّها دليل على هذه الشجاعة اللافتة للإمام عليه السلام وهو الّذي قال لأصحابه حينما أمطرتهم سهام الأعداء: «قوموا رحمكم الله إلى الموت الّذي لا بدّ منه، فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم».

٤. الصراحة والوضوح: توّجت كلّ هذه الصفات بصفة مهمّة جداً وهي الوضوح والصراحة، وهو القائل: «يا أمير إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، بنا فتح الله وبنا يختم ويزيد فاسق، شارب

الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله» .

٥. الصلابة في الحقّ: وقد قال عليه السلام: «ألا ترون إلى الحقّ لا يُعمَل به، وإلى الباطل لا يُتناهَى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله» .

٦. الصبر: قال الأربليّ: «شجاعة الحسين عليه السلام يُضرَب بها المثل، وصبره في الحرب أعجز الأوائل والأواخر» .

إلى غيرها من الصفات الّتي اجتمعت في الإمام عليه السلام.

ملامح عصر الإمام الحسين عليه السلام

نستطيع أن نلخّص ملامح عصر الإمام عليه السلام بكلمة واحدة وهي: أنّ معاوية بن أبي سفيان أراد إعادة الجاهليّة الأولى إلى المجتمع الإسلاميّ باسم الإسلام وإمرة المؤمنين.

وقد اعتمد معاوية من أجل الوصول إلى هذا الهدف عدّة خطوات منها:

١. إشاعة الإرهاب والتصفية الجسدية لكلّ قوّة معارضة للحكم. وقد صوّر الإمام الباقر عليه السلام هذه الحالة بقوله: «فقُتِلت شيعتنا بكلّ بلدة، وقُطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكان من يُذكَر بحبنّا والانقطاع إلينا سُجن، أو نُهب ماله أو هُدّمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام» .

٢. إغداق الأموال لشراء ضمائر الناس، وقد تمّ فعلاً شراء بعض الوعّاظ والمحدّثين، وهكذا شراء ضمائر الوجوه الاجتماعيّة.

٣. المضايقة الاقتصاديّة وأسلوب التجويع. وقد قال معاوية في هذا الصدد: «انظروا من قامت عليه البيّنة أنّه يحبُّ عليّاً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه» .

٤. العمل على تمزيق أواصر الأمّة الإسلاميّة بإثارة الروح القوميّة والقبليّة والإقليميّة بين قطاعاتها المختلفة.

٥. اغتيال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

٦- فرض البيعة لولده يزيد المعلن بفسقه وتحكُّمه في رقاب المسلمين.

٨

الدرس الثامن

الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام ٢

الدرس الثامن

الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام ٢

مـر الـكلام في الدرس السابق: أنّ معاوية بـن أبي سفيـان أراد إعادة الجاهليّـة الأولى إلى المجتمع الإسلامـيّ باسـم الإسلام وإمرة المؤمنين. وقد اعتمد من أجل الوصول إلى هذا الهدف عدّة خطوات منها:

١. إشاعة الإرهاب

٢. إغداق الأموال لشراء ضمائر الناس

٣. المضايقة الاقتصاديّة

٤. العمل على تمزيق أواصر الأمّة الإسلاميّة

٥. اغتيال الإمام الحسن عليه السلام.

٦. فرض البيعة لولده يزيد

كيفية سعي الإمام لتقويض مآرب معاوية:

وقد انتهج الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة هذه الخطوات منهاجاً يقوّض هذا البناء من أساسه:

١. مواجهة معاوية ورفض البيعة ليزيد

وقـد أرسل الإمام عليه السلام لمعاويـة رسالة طويلة جاء في بعض مقاطعها: «تريد أن توهم الناس في يزيد كأنّك تصف محجوباً أو تنعت غائباً،... ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكـثر ممـا أنت لاقيه، فوالله ما برحت تقدح باطلاً في جورٍ وحنقـاً في ظلم حتّى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلّا غمضة فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود، ولات حين مناص» .

٢. جمع الأمّة الإسلامية على الحقّ

فقـد لبّـى الإمام الحسين عليه السلام الدعـاوي والوفود الكثيرة التي تطلب منه مواجهـة الظلم والطغيان المتمثّل بالحاكم الأمويّ معاوية. وقد بدأت ظاهرة التجمّع مع الإمام تظهر أمام أعين السلطة الحاكمة ما اضطرّ معاوية إلى أن يرسل له رسالة فيها تهديد وتحذير من مواقفه.

٣. فضح جرائم معاوية

أرسل الإمام الحسين عليه السلام رسالة جاءت كردّ على الرسالة السابقة فضحت الحاكم الأمويّ معاوية.

وجاء في هذه الرسالة مجموعة أمور منها:

أ. وصف حزب معاوية بحزب الظلمة.

ب. تذكيره بجرائمه المختلفة التي أدّت إلى إراقة دماء الأبرياء والعظماء من الصالحين الأصحاب كحجر بن عدّي، وعمرو بن الحمق الخزاعيّ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغيرهما.

ج. وصف خلافة معاوية بأنّها أعظم فتنة تمرّ بالأمّة الإسلاميّة.

د. تذكيره بنقض العهد وبنود الصلح الّذي أبرمه مع الإمام الحسن عليه السلام.

هـ. تهديده لمعاوية حسبما جاء في نصّ الرسالة:

«فأبشر يا معاوية بالقصاص، واستيقن بالحساب، واعلم أنّ لله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها، وليس الله بناس لأخذك بالظنّة، وقتلك أولياءه على التهم، ونفيك إيّاهم من دورهم إلى دار الغربة» .

و. تذكيره بنقضه العهد بتولية ابنه يزيد الغلام الحدث، شارب الخمر، ملاعب الكلاب. فبهذا الشكلّ واجه الإمام عليه السلام السياسة الأمويّة الظالمة الّتي أطاحت بكلّ مَعْلَم إسلاميّ لتحويل الحضارة الإسلاميّة إلى حضارة قيصريّة وكسرويّة...

عاشوراء مرحلة الجهاد والشهادة

الّذي يدرس الملامح العامّة لعصر الإمام عليه السلام الّتي تحدّثنا عن بعضها، يخرج بنتيجة منطقيّة وهي ضرورة النهضة الحسينيّة باعتبار أنّ الأمّة الإسلاميّة في زمن الحكم الأمويّ عانت من مرض خطير وهو فقدان الإرادة مع وضوح الحقّ، وقد لخّص ذلك الفرزدق بقوله للإمام عليه السلام: «قلوبهم معك وسيوفهم عليك» .

وهذه الهزيمة النفسيّة قد تجلّت في مواقف كثيرة منها:

أ. أجمعت كلمة عقلاء المسلمين على تخويفه من رفض بيعة يزيد.

ب. عدم استجابة زعماء البصرة الموالين للإمام عليّ عليه السلام لنداء الإمام الحسين عليه السلام.

ج. عدم نصرة عشيرة بني أسد بعد أن ذهب حبيب بن مظاهر رضوان الله عليه إليهم.

د. استطـاع ابـن زياد خـلال أسبوعين تجنيد الألوف ممّن كان بعضهم مـع الإمام عليّ عليه السلام. وغير ذلك من المواقف التي نستطيع أن نفهم منها هذه الهزيمة النفسيّة.

وكان أمام الإمام عليه السلام عدّة مواقف:

الأوّل: أن يبايع يزيد.

الثاني: أن يرفض البيعة ويبقى في مكّة أو المدينة.

الثالث: أن يرفض ويذهب إلى بلد من بلاد العالم الإسلاميّ كاليمن.

الرابع: أن يرفض ويلبّي نداء الرسائل الموجهة إليه ويستشهد في كربلاء.

وكان اختيـار الموقف الرابع مبنيّاً على إدراك طبيعة الظروف الموضوعيّة المحيطة بالأمّة، ومن خلاله استطاع أن يعالج هذا المرض الّذي دبّ في جسدها وكاد أن يقضي عليها. فاستطاع أن يهزّ ضمير الأمّة مـن ناحية، ويشعرهـا بأهميّة الإسلام وكرامة هذا الدين من ناحية ثانيـة، ويعيد لها إرادة المواجهة مـن ناحيـة ثالثة، وأن يوضح لكلّ المسلمين أنّ مفهوم الصلح عند الإمام الحسن عليه السلام لم يكن موقفاً إمضائياً وإنّما كان أسلوباً تمهيديّاً لموقف الإمام الحسين عليه السلام.

خلاصة الدرس

- عاش الإمـام الحسـين عليه السلام ما يقـارب عشر سنوات بعـد شهادة الحسـن عليه السلام وذلك ضمن مرحلتين:

الأولى: مرحلة ما قبل النهضة.

الثانية: مرحلة ما بعد النهضة.

- من صفات الإمام عليه السلام: قوة الإرادة - إباء الضيم - الشجاعة - الصراحة والوضوح - الصلابة في الحق - الصبر.
- الخطوات التي قام بها معاوية في عصر الإمام الحسين عليه السلام:

١. إشاعة الإرهاب والتصفية الجسدية لكل من يعارضه.

٢. إغداق الأموال لشراء ضمائر الناس.

٣. التضييق الاقتصادي وسياسة التجويع.

٤. اغتيال الإمام الحسن عليه السلام.

٥. فرض البيعة لولده يزيد.

- الخطوات التي اتبعها الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة معاوية:

رفض البيعة ليزيد.

١. جمع الأمة على الحق من خلال تلبية دعوات أهل الكوفة.

٢. فضح جرائم معاوية.

٣. كان الموقف النهائي للإمام عليه السلام تجاه يزيد هو الثورة العسكرية ضده.

أسئلة الدرس

١. ***ما هي أهم الخصائص القيادية الموجودة في شخصية الإمام الحسين عليه السلام؟***

....

....

٢. ***لماذا اختار الإمام عليه السلام موقف الشهادة دون المواقف الأخرى؟***

....

....

٣. ***ما هو المنهج الذي اتبعه الإمام في مواجهة معاوية؟***

....

....

٤. ***ضع علامة صحّ أو خطأ في المكان المناسب:***

أ. ولد الإمام عليه السلام في الثالث من شهر شعبان. (   )

ب. كانت مدة إقامة الإمام الحسين عليه السلام سنة واحدة فقط. (   )

ج. بعث الإمام الحسين عليه السلام رسالة لمعاوية فضحه فيها على جرائمه. (   )

د. كان خيار المواجهة العسكرية مع يزيد هو الخيار الأنسب حسب رأي الإمام عليه السلام. (   )

هـ. استشهد الإمام الحسين عليه السلام في الثالث عشر من المحرّم. (   )

للمطالعة

كراهة صوم عاشوراء

عـن محمـد بن سنان عن أبان عن عبد الملك، قـال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صوم يوم تاسوعاء من شهر المحرّم فقال عليه السلام:

«تاسوعـاء يوم حوصر فيه الحسين عليه السلام وأصحابه (رضـي الله عنهم) بكربلاء، واجتمع عليه خيل أهـل الشـام وأناخوا عليه، وفرّح ابن مرجانـة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتهـا واستضعفوا فيه الحسـين عليه السلام وأصحابـه كرّم الله وجوههم، وأيقنوا أن لا يأتـي الحسين عليه السلام ناصر ولا يمدّه أهل العراق، بأبي المستضعف الغريب».

ثـمّ قال: «وأمّا يوم عاشوراء فيوم أصيـب فيه الحسين عليه السلام صريعاً بين أصحابه، وأصحابه صرعى حولـه، أفصـوم يكون في ذلك اليـوم؟ كلّا وربّ البيت الحـرام ما هو يوم صوم وما هـو إلّا يوم حزن ومصيبـة دخلت على أهـل السماء وأهل الأرض وجميع المؤمنين، ويوم فـرح وسرور لابن مرجانة وآل زياد وأهل الشام غضب الله عليهم وعلى ذرّياتهم، وذلك يوم بكت عليه جميع بقاع الأرض خلا بقعة الشام، فمن صام أو تبرّك به حشره الله تعالى مع آل زياد ممسوخ القلب ومسخوطاً عليه ومن ادّخر فيه إلى منزله ذخيرة أعقبه الله نفاقاً في قلبه إلى يوم يلقاه، وانتزع البركة عنه وعن أهل بيته وولده، وشاركه الشيطان في جميع ذلك» .

٩

الدرس التاسع

الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام ١

الدرس التاسع

الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام ١

أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى حياة الإمام السجّاد عليه السلام وملامح عصره.

٢. أن يستذكر أهداف الإمام السجّاد عليه السلام.

٣. أن يتبيّن أسلوب مواجهة الإمام عليه السلام للإنحراف.

الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في سطور

الولادة: ولد يوم الخميس الخامس من شعبان سنة ٣٨هـ.

الشهادة: المشهور أنّه استشهد في أحد الأيّام الثلاثة: إمّا الثاني عشر من محرّم، أو الثامن عشر، أو الخامس والعشرين منه، في سنة خمس وتسعين للهجرة، وقيل في سنة وفاته (سنة الفقهاء) لكثرة موت الفقهاء والعلماء آنذاك. وكان عمره ستّاً وخمسين سنة.

ألقابه: زين العابدين، سيّد الساجدين، سيّد العابدين، ذو الثفنات.

كنيته: أبو الحسن وأبو محمّد وقال بعضهم: أبو الحسين.

مدفنه: المدينة المنوّرة - البقيع.

تمهيد

برز الإمام السجاد عليه السلام على الصعيد العلمي والديني، إماماً في الدين ومناراً في العلم، ومرجعاً ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى حتى سلّم المسلمون جميعاً في عصره بأنّه أفقه أهل زمانه وأورعهم وأتقاهم... فقال الزهري، وهو من معاصريه: «ما رأيتُ قرشياً أفضل منه»، وقال سعيد بن المسيّب وهو من معاصريه أيضاً: «ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين»، وقال الإمام مالك: «سُمّي زين العابدين لكثرة عبادته»، وقال سفيان بن عيينة: «ما رأيت هاشمياً أفضل من زين العابدين ولا أفقه منه»، وعدّه الشافعي أنّه: «أفقه أهل المدينة».

وقد اعترف بهذه الحقيقة حكّام عصره من بني أمية أنفسهم، رغم ما بينه وبينهم من عداوة وخصومة، فقال له عبد الملك بن مروان يوماً: «لقد أوتيت من العلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك قبلك إلاّ من مضى من سلفك..»، ووصفه عمر بن عبد العزيز بأنّه: «سراج الدنيا وجمال الإسلام».

ومع هذا اعتبر بعض المؤلّفين أنّ شهادة الإمام الحسين عليه السلام أفقدت الفكر الشيعيّ المحور الأساس، وهو الزعيم السياسيّ الّذي كان محور الحركة القيادية، وأنّ الإمام زين العابدين عليه السلام انصرف عن السياسة إلى الدين وأصبح زعيماً روحياً لا علاقة له بما يجري من أحداث على أرض الواقع، بل غاية ما قام به هو تخريج ثلّة من العلماء والفقهاء الكبار الذين أصبحوا فيما بعد مراجع في الأحكام الفقهيّة والقضايا الإسلاميّة.

وحاول بعضهم أن يعطي بعض الترجيحات لتثبيت أنّ الإمام عليه السلام أخذ قراراً بالابتعاد عن السياسة، فيذكر ثورة المختار الثقفيّ ورفض الإمام لهذه الثورة، ما يؤكّد عدم خروجه من مرحلة التعبّد إلى مرحلة العمل السياسيّ، بل يمكن اعتبار فاجعة كربلاء كافية لانعزال الإمام عليه السلام عن الحياة السياسيّة وعدم وثوقه بالناس.

والحقيقة أنّ هذا التصوّر هو ما أراد أن يوحي به الإمام عليه السلام للسلطة الأمويّة الحاكمة للحفاظ على التشيّع ولنشر الإسلام الأصيل بشكل هادئ وليحصل التغيير من الأرض وبشكل تدريجيّ. وهو ما نفهمه عندما ندرس مراحل حياة الإمام عليه السلام.

المحطات الرئيسة في حياة الإمام السجاد عليه السلام

يمكن اعتبار حضوره الإمام السجاد عليه السلام في كربلاء ومواقفه في الشام، وتخطيطه في المدينة بعد عودته إليها هي المحطات الثلاث التي تؤشّر إلى الأبعاد الحقيقية التي بلورت شخصيته الجهادية في قابل الأيام والسنين، فضلاً عن محطته الرئيسة في بيت العصمة والطهارة الذي نشأ وعاش وترعرع فيه وخاصة مع جدّه الإمام علي وأبيه الحسين وعمّيه الحسن والعباس عليهم السلام.

المحطة الأولى: في كربلاء

تؤكّد المصادر التاريخية أنّ الإمام السجاد عليه السلام كان حاضراً في كربلاء إذ شهد واقعة الطفّ بجزئياتها وتفاصيلها وجميع مشاهدها المروّعة، وكان شاهداً عليها ومؤرّخاً لها. ولعلّه يُعتبر أصدق وأهم مراجعها على الإطلاق... وورد في معظم المصادر التاريخية، أو المتفق عليه فيها، أنّه عليه السلام كان يوم كربلاء مريضاً أو موعوكاً وللحدّ الذي لا يستطيع الوقوف على قدميه، أو لا تحمله قدماه، كما تقول الروايات. فقد جاء في تاريخ اليعقوبي ما نصّه: روي عن علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «إنّي لجالسٌ في العشية التي قُتل فيها أبي الحسين بن علي، في صبيحتها وعمّتي زينب تمرّضني، إذ دخل أبي وهو يقول:

يا دهرُ أفٍّ لك من خليلِ   كم لك في الإشراق والأصيلِ

من طالبٍ وصاحبٍ قتيلِ   والدهر لا يقنع بالبديلِ

وإنّما الأمر إلى الجليلِ   وكلّ حيٍّ سالكُ السبيلِ

ففهمتُ ما قال وعرفتُ ما أراد، وخنقتني عبرتي، ورددتُ دمعتي، وعرفتُ أنّ البلاء قد نزل بنا. فأمّا عمّتي زينب فإنّها لمّا سمعت ما سمعت، والنساء من شأنهنّ الرقّة والجزع، لم تملك أن وثبت تجرّ ثوبها حاسرة وهي تقول: واثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة... فقال لها الحسين: يا أختي اتّقي الله، فإنّ الموت نازل لا محالة... فتقدّم إليها وصبّ على وجهها الماء وقال: يا أختاه: تعزّي بعزاء الله، فإنّ لي ولكلّ مسلم ومسلمة أسوة برسول الله... ثمّ قال: «إنّي أُقسم عليك، فأبرّي قسمي، لا تشقّي عليَّ جيباً، ولا تخمشي عليَّ وجهاً، ولا تدعي عليَّ بالويل والثبور. ثمّ جاء حتى أجلسها عندي، فإنّي لمريض مدنف، وخرج إلى أصحابه...».

كلّ ذلك وغيره كثير يختزنه الإمام السجاد عليه السلام ويطوي عليه قلبه وضلوعه، إذ لم يتسنَّ له أن يبذل مهجته، لجرحٍ أصابه، فأخرجه من المعركة، أو مرضٍ شديد أقعده عن المساهمة فيها، فيحمل تلك المشاهد والكلمات ليصبح بعد ذلك ناطقاً رسمياً بما شاهده واطّلع عليه، ويكون المرجع الرئيس المنتدب لإتمام المهمّة التي استشهد من أجلها أبوه الإمام الحسين عليه السلام، والتي لم تنته باستشهاده، بل إنّها بدأت بعد ذلك مباشرة فعلاً.

المحطة الثانية: في الكوفة والشام

في الكوفة

يستحضر الإمام السجاد عليه السلام مصارع إخوته وأبناء عمومته، فيقف شامخاً في قصر الإمارة بالكوفة مـع عمّته زينب وهما يحملان بلاغة علي وعنفوان الحسين وعزّة العباس، ليقولا بكلام عربي فصيح ومواجهـة كلاميـة حادّة بينهما وبـين الطاغية عبيد الله بن زياد، قولاً لا يمكـن أن يقوله ثائر مغلوب منكسـر في مثل موقعهما وموقفهما وأمام هذا الطاغيـة الذي ما زال يقطر سيفه من دماء المجزّرين في رمضاء كربلاء من أهل بيت النبوة.

ثـمّ يلتفـت ابن زياد إلى عليّ بن الحسين ويقول: «ما اسمك؟» قـال «علي بن الحسين» قال: «ألم يقتل الله علـي بن الحسين؟» فسكت، فقال: «مالك لا تتكلـم؟» قال: «كان لي أخ يُقال له علي قتله النـاس»!! فقـال ابـن زيـاد: «إنّ الله قتله» فسكـت الإمام عليه السلام. قال: «مالـك لا تتكلّم؟» فقـال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «اللّه يَتوفّى الأنفسَ حين موتِها، وما كان لنفسٍ أن تموت إلاّ بإذن الله...». ثم غضب ابن زياد فأراد قتله على جرأته وتجاسره على الطاغية بتلك الأجوبة، فتشبّثت به عمّته زينب وتعلّقت به، وقالت لابن زياد: «يا ابن زياد، حسبُك منّا ما أخذت، أما رويتَ من دمائنا؟ وهل أبقيت مِنّا أحداً؟ أسألك الله - إن كنت مؤمناً - إن قتلته لمّا تقتلني معه..»

في الشام

أمّـا في الشـام وحيث الدور الإعلامي أكثر تأثـيراً من قعقعة السيوف وطعن الرمـاح مع ما يستبطن مـن فضـح وكشف واحتمال تصفية وقتـل، يقف الإمام السجاد عليه السلام في مجلـس يزيد، فينبري بعد أن يحمـد الله ويثنـي عليه مسفّهاً الدعـاوى الأموية التي حاولت تشويه نهضـة أبيه، وتزييف أهداف ثورتـه، قائـلاً: «يا معشر الناس: فمن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أُعرّفه نفسي، أنا ابن مكّـة ومِنى، أنا ابن مروة والصفا، أنا ابن محمد المصطفى... أنا ابن من علا فاستعلى، فجاز سدرة المنتهـى، وكان من ربّه قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملائكة السماء مثنى مثنى، أنا ابن من أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابـن خديجـة الكبرى، أنا ابن المقتول ظلماً، أنا ابن المجزور الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن صريع كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السماء، أنـا ابن من ناحـت عليه الجنّ في الأرض والطير في الهواء، أنا ابن مـن رأسه على السنان يُهدى، أنا

ابن من حرمه من العراق إلى الشام تُسبى... أيُّها الناس إنّ الله تعالى ـ وله الحمد ـ ابتلانا أهل البيت ببلاء حسن، حيث جعل راية الهدى والتُّقى فينا، وجعل راية الضلالة والردى في غيرنا...» .

وهكـذا حتى عمّ المجلس النحيب والبكاء ـ كما تقول الروايـات التأريخية ـ فكشف مالم يكشف وفضح ما تمّ التكتّم عليه أو يُراد له ذلك.

وبهذه الخطبة الموجزة أصبح الرمز الذي يقود مسيرة الإحياء ـ إحياء هذا الدين المضيّع ـ الذي شوّهته السلطـة الأمويـة وحكمت أو تحكّمـت باسمه... فتراه عليه السلام حين أراد يزيـد أن يقطع حديثه بالأذان للصلاة، يُعلِّق على صوت المؤذّن الذي يقول: «أشهد أنّ محمداً رسول الله» بقوله: «يا يزيد! هذا جدّي أم جـدّك؟ فـإن قلت جدّك فقد كذبت! وإن قلت جدّي، فلمَ قتلتَ أبـي وسبيت حرمه وسبيتنـي؟!»، ثمّ قال مخاطباً النـاس: «أيُّها النـاس، هل فيكم من أبوه وجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟» فعلت الأصوات بالبكاء. وقـام إليـه رجل من شيعتـه يُقال له المنهال بن عمـرو الطائي، وفي رواية مكحـول صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله: «كيف أمسيتَ يا ابن رسول الله؟».

فيستثمـر الإمام السجاد عليه السلام هـذا السؤال فيروح مندّداً بالعصابة التـي حرّفت دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويضـع أُولى العناوين العريضة في هذه المسيرة التبليغية الإعلاميـة التي قادت وتقود مسيرة الإحياء العظيمة هذه، برائدها الوحيد الحيّ الباقي، مؤكّداً على الفرعونية الجديدة التي تتحكّم باسم الدين مستنهضاً همم الرجال، مقرّعاً ضمائرهم، مناشداً غيرتهم على دين عظيم ضيّعوه بالتواطؤ مع هذه العصابـة الضالّـة المضلّة، فيجيب سائله بقـولٍ موجز بليغ: «أمسينا فيكم كهيئـة بني إسرائيل في آل فرعـون، يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وأمست العـرب تفتخر على العجم بأنّ محمداً منها، وأمسى آل محمد مقهورين مخذولين، فإلى الله نشكو كثرة عدّونا، وتفرّق ذات بيننا، وتظاهر الأعداء علينا...» .

وهكـذا يتجلّى دور الإمام السجاد عليه السلام في قيادة مشروع الإحياء وثورة التصحيح. ومن هذه المحطة تبدأ رحلة الألف ميل مسافة وعمقاً من الشام إلى المدينة، ليستأنف الإمام عليه السلام مهمته الرسالية في استكمال هذا المشروع وريادة هذه الثورة.

١٠

الدرس العاشر

الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام ٢

الدرس العاشر

الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام ٢

المحطة الثالثة: في المدينة المنوّرة

أ. دوره العلمي

ليس الحديث عن الدور العلمي للإمام السجاد عليه السلام مما تجمعه السطور، أو تفي بالتعبير عنه، ولكن حسبها أنّها تأتي بمعالم تفصح بعض إفصاح عن ذلك الدور وما كان يتمتّع به صاحبه من منزلة.

فلقد عاش الإمام زين العابدين عليه السلام في المدينة المنورة، حاضرة الإسلام الأولى، ومهد العلوم والعلماء، في وقت كانت تحتضن فيه ثلّة من علماء الصحابة، مع كبار علماء التابعين، فكان بشهادة أكابر أبناء طبقته والتابعين لهم، الأعلم والأفقه والأوثق، بلا ترديد. فقد كان الزهري يقول: «ما كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين، وما رأيت أحداً كان أفقه منه». وممن عرف هذا الأمر وحدّث به الفقيه الشهير سفيان بن عيينة . وبمثل هذا كان يقول الشافعي محتجّاً بعلي ابن الحسين عليه السلام على أنّه كان (أفقه أهل المدينة) .

هذا، وقد كانت مدرسته تعجّ بكبار أهل العلم من حاضرة العلم الأولى في بلاد الإسلام، يحملون عنه العلم والأدب، وينقلون عنه الحديث، ومن بين هؤلاء، كما أحصاهم الذهبي: أولاده أبو جعفر محمد (الباقر عليه السلام) وعمر، وزيد، وعبد الله، والزهري، وعمرو بن دينار، وخلق سواهم.. وقد حدّث عنه غير هؤلاء رجال من خاصة شيعته من كبار أهل العلم، منهم: أبان بن تغلب، وأبو حمزة الثمالي، وغيرهما كثير .

هذا الجمع الغفير وغيرهم ممن وصف بالخلق الكثير أخذوا عنه عليه السلام علوم الشريعة من تفسير القرآن الكريم والعلم بمحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وأحكامه وآدابه، والسُنّة النبوية الشريفة روايةً وتدويناً في عصر كانت ما تزال كتابة الحديث فيه تتأثّر بما سلف من سياسة المنع من التدوين، السياسة التي اخترقها أئمة أهل البيت عليهم السلام فكتب عنهم تلامذتهم والرواة عنهم الشيء الكثير، إلى أحكام الشريعة، حلالها وحرامها وآدابها، إلى فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عهد

عمـدت فيه السياسة علـى تعطيل الكثير من الأحـكام وتبديل بعض السنن وإحيـاء بعض البدع، إلى الجهر في نصرة المظلوم وضرورة الردّ على الظالم وكشف أساليبه الظالمة للناس.

ب. دوره في بلورة المعارضة السياسية

المؤسـف في قـراءات ودراسات الكثير من المؤرّخين والمحلّلين السياسيين هو ارتباكهم وعدم دقّتهم في تحديـد أدوار أئمة أهـل البيت عليهم السلام وتفكيك مدرستهم الفكرية والسياسيـة في تعاملهم مع السلطات، وكذلك عدم قدرة هؤلاء المحلّلين على إدراك حكمة تنوّع تلك الأدوار وفلسفتها وعدم استيعاب حرص الأئمة إلى الاحتفاظ بوحدة هدفهم في المحافظة على الإسلام عقيدةً وشريعةً، نظريةً ومنهاجاً.

وعلـى هـذا الأساس كان موقف الإمام السجـاد ـ بنظرهم ـ من الثورة والجهـاد عُرضة لهذا التحليل الشاطح الذي وضع أُسسه صنفان من الناس:

- صنـف يحب الدعـة والاسترخاء فيروح يُفسِّر موقفه عليه السلام دعةً واسترخـاءً للتغطية على فشله هو وهزيمته ونكوصه.

- وصنـفٌ يهـوى الثورة والتمـرّد فيتحامل على الإمام جسـارة أو تجرؤاً فيتّهمه أنّـه اعتزل السياسة والتصدّي بعد فجيعته بوالده وإخوته، وغدر الغادرين من أهل زمانه، فاكتفى بالتضرّع والدعاء.

- وبعضهـم يحلّـل أنه آثـر الدعاء والبكاء على غيرهمـا؛ لأنهما أيسر مؤونةً وأقـلُّ كلفةً من المواجهة والنزال وحزِّ الرؤوس وجزِّ الرقاب.

- ويشطـح صنف آخر أكثر من هؤلاء جميعـاً فيزعم أنّه صالح وساوم السلطة ونأى بنفسه بعيداً عن الثورات الشيعية التي تفجّرت في زمانه، بل تبرّأ منها في السرِّ والعلن .

فلنتوقّف قليلاً أمام هذه المزاعم وندرسها بموضوعية وتأنٍّ وباختصار شديد...

المرحلة المنعطف

إنّ مرحلـة الإمـام السجاد عليه السلام يمكن أن تسجّل منعطفاً مهماً بـين مرحلتين فاصلتين في عمل أئمة أهل البيت عليهم السلام:

الأولى: مرحلـة التصـدّي والصـراع السياسـي والمواجهة العسكريـة ضدّ المنحرفـين والمحرّفين من

الفاسقين والمارقين والناكثين، وقبلهم الكفرة والمنافقين وأعداء الدين الواضحين...

الثانية: مرحلة المعارضة السياسية الصامتة، أو الرفض المسؤول الواضح للانحراف، أمام الضبابية والزيف الملفّع بالدين، وبعد ذلك بناء القاعدة الشعبية والجماعة الواعية التي تتحمّل عبء الرسالة لمواجهة الانحراف والتحريف اللذين أُغرقت أو استُغرقت فيهما الحالة الدينية تحت شعارات الإسلام نفسها ويافطات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

تأسيساً على ذلك، كان على الإمام زين العابدين عليه السلام أن يجذّر في عقول وضمائر الجماعة المؤمنة التي يُراد لها أن تحفظ الإسلام عقيدةً ونظاماً، شريعةً ومنهاجاً، عدّة أمور منها:

١. تركيز ثورة الإمام الحسين عليه السلام في ضمائر الناس باعتباره خرج لطلب الإصلاح في أُمّة جدّه فعلاً، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، داعياً لتحكيم دين الله، ولم يخرج (أشراً ولا بطراً)، بل لم يخرج على إمرة (أمير المؤمنين يزيد!!) ولم ينوِ تمزيق الصف المسلم أو تفريق جماعة المسلمين، وبالتالي فإنّه قُتل بسيف أعداء الدين، وليس (بسيف جدّه) كما كان يروّج الإعلام الرسمي آنذاك، وبعض المؤرّخين المتخلّفين اليوم .

٢. بناء الجماعة الواعية، أو كما تُسمى القاعدة الجماهيرية الشعبية، المؤهّلة لحفظ الرسالة وحدودها بعيداً عن الزيف والتزييف وسياسة تسطيح الوعي التي غطّت مساحات عريضة من الجمهور المسلم بحيث أضحت تلك الجماهير لا تفرّق بين المفاهيم ومصاديقها، أو بين الشعارات المرفوعة وضرورة تبنّيها، أو بين الأصيل والطارىء، الأمر الذي يُسبّب الفتنة فعلاً أو يُشعلها، ويحجب الرؤية الواضحة عن النفوس البريئة التي تتأثّر بالشعار ولا تغوص في أعماق الأمور.

٣. تعميق مفهوم الإمامة والولاية في الجماعة الخاصة بعد أن اهتزّت لدى العامّة تحت ضغط الإعلام المزّيف وأبواقه المأجورة، ومن ثمّ توضيح الخرق الفاضح الذي تمَّ خلاله فصل المرجعية الفكرية عن المرجعية السياسية أو الاجتماعية، وبالأحرى فصل الدين عن السياسة، وإبقاء مقاليد الأمور بيد الصبيان والغلمان، يعبثون بمقدّرات البلاد والعباد.

٤. العمل بدقّة في مقطع زمني بالغ الحساسية، يحسب على الإمام حركاته وسكناته، ويعدّ عليه

أنفاسه وكلماته من جهة، وموازنة ذلك مع عمل إعلامي وتبليغي بالغ الصعوبة والتعقيد لكشف المعالم الحقيقية للدين، بعيداً عن عيون السلطة ورقابتها وأزلامها وجواسيسها المنتشرين في كل زاوية وزقاق، من جهة أخرى.

وبهذا استطاع الإمام السجاد عليه السلام أن يقود الأمة ويكمل الثورة ويحقّق بقية أهدافها، لكن بما ينسجم مع طبيعة المرحلة وتعقيداتها، حتى لو لم يتسلم سلطة أو حكماً.

خلاصة الدرس

- برز الإمام السجاد عليه السلام على الصعيد العلمي والديني، إماماً في الدين ومناراً في العلم.
- يمكن تقسيم مراحل حياة الإمام إلى قسمين:

١. مرحلة ما قبل الطف.

٢. مرحلة ما بعد الطف.

- من أبرز مواقفه عليه السلام بوجه يزيد وأعوانه، ما خطب به في مجلسه أمام جموع من الناس، حتى عم المجلس النحيب والبكاء، وكشف ما لم يكشف وفضح ما تمّ التكتّم عليه.
- عاش الإمام عليه السلام بعد ثورة كربلاء في المدينة المنورة وكانت مدرسته فيها تعجّ بكبار العلم، يحملون عنه العلم والأدب، وينقلون عنه الحديث.
- قام الإمام بخطوات هامّة لحفظ الإسلام عقيدة ونظاماً منها:

١. تركيز ثورة الإمام الحسين عليه السلام في ضمائر الناس.

٢. بناء الجماعة الصالحة والواعية.

٣. تعميق مفهوم الإمامة.

أسئلة الدرس

١. *إلى كم مرحلة تنقسم حياة الإمام زين العابدين عليه السلام؟*

....

....

٢. *ما هو النتاج الثقافي والأخلاقي الذي تركته الصحيفة السجادية على المجتمع الإسلامي؟*

....

....

٣. *ما هي أهم الإصلاحات التي قام بها الإمام في مواجهة الانحراف السائد في عصره؟*

....

....

٤. *ضع علامة صحّ أو خطأ في المكان المناسب:*

أ. ولد الإمام زين العابدين يوم الخميس السابع عشر من ربيع الأوّل (   )

ب. موضع قبره الشريف في البقيع (   )

جـ. كان للإمام عليه السلام خطبة في الكوفة وخطبة في الشام (   )

د. عاش الإمام عليه السلام أواخر حياته في المدينة المنورة (   )

هـ. لم يكن للإمام عليه السلام أي دور بعد ثورة الطف (   )

للمطالعة

سعيد بن جبير صاحب الإمام السجّاد عليه السلام

ذكر الشيخ الطوسيّ رضوان الله عليه في رجاله اثنين وسبعين رجلاً من أصحاب الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام أو ممّن يروي عنه بأسمائهم ، سعيد بن المسيّب: قال عنه الإمام عليه السلام: «سعيد بن المسيّب أعلم الناس بما تقدّمه من الآثار وأفهمهم في زمانه» .

أبو حمزة الثماليّ: قال عنه الإمام الرضا عليه السلام: «أبو حمزة سلمان زمانه» .

سعيد بن جبير: كان كثير العلم حتّى قيل عنه: «ليس على وجه الأرض من هو مستغنٍ عن علم ابن جبير» ، ونحن نورد عنه هذه القصّة الّتي رواها صاحب روضات الجنّات لنبيّن من خلالها عظمة هذه الشخصيّة.

اعتقله رجال الحجّاج يوماً، وجاءوا به عنده، فقال الحجّاج: أنت شقيّ بن كسير لا سعيد بن جبير.

فقال سعيد: إنّ أمّي أعلم حينما سمّتني سعيداً.

الحجّاج: لم لا تضحك؟

سعيد: كيف يضحك من خُلق من تراب وقد تحرقه النار؟.

الحجّاج: فلماذا نضحك نحن؟

فقال سعيد: قلوب الناس ليست سواء.

فأمر الحجّاج ليؤتى بالمجوهرات فتوضع أمام سعيد.

فقال سعيد: إنِ ادّخرت هذه لتنجو بها من عذاب القيامة فلا بأس عليك وإلّا فاعلم أنّها تذهل كلّ مرضعة عما أرضعت، فلا خير في ادّخار الثروة إلّا ما كان زكيّاً خالصاً.

فأمر الحجّاج ليؤتى بآلات اللهو والطرب فبكى سعيد.

فقال الحجّاج: كيف تريد أن تُقتل؟

قال سعيد: كما تحبّ. والله ما قتلتني قتلة إلّا قتلك الله مثلها يوم القيامة.

قال سعيد: إن كان هناك عفو فهو من عند الله ولن أطلب صفحاً منك أبداً.

فأمر الحجّاج ليمدّ بساط القتل فقال سعيد: **﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** (1)

(1) الأنعام:٧٩

فقال الحجّاج: حوّلوا وجهه عن القبلة.

قال سعيد: ﴿**وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[1].

قال الحجّاج: اجعلوا وجهه إلى الأرض.

قال سعيد: ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**﴾[2].

فقال الحجّاج: افصلوا رأسه.

قال سعيد: أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبد اللّه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثمّ دعا فقال «اللهم لا تسلّطه على أحد من بعدي».

ولم تمضِ سوى لحظات قليلة حتّى كان دم سعيد الطاهر يجري بأمر من الحجّاج .

(١) البقرة:١١٥.

(٢) طه:٥٥.

١١

الدرس الحادي عشر

الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام ١

الدرس الحادي عشر

الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام ١

أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى خصائص مرحلة الإمام الباقر عليه السلام.

٢. أن يتعرّف إلى الظروف السياسية في عصر الإمام عليه السلام.

٣. أن يتبيّن أسلوب تعامل الإمام عليه السلام مع الظروف المحيطة.

الإمام محمد بن عليّ الباقر عليه السلام في سطور

الولادة: يوم الاثنين في الثالث من صفر، أو غرّة رجب سنة ٥٧ بالمدينة المنوّرة، وكان حاضراً في وقعة الطفّ مع جدّه الحسين عليه السلام وعمره أربع سنين.

الشهادة: يوم الاثنين السابع من ذي الحجّة، سنة ١١٤هـ وهو ابن ستّ وخمسين سنة.

ألقابه: الباقر، الشاكر، الهادي، الأمين.

كنيته: أبو جعفر.

مدفنه: المدينة المنوّرة، البقيع.

الظروف السياسية المحيطة

عاش الإمام الخامس من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، أبو جعفر الباقر عليه السلام، في فترة زمنية مفصلية في تاريخ الأمة الإسلامية، وفي أوج الصراع على السلطة فترة حكم بني أميّة بمرحلتي بني سفيان وبني مروان، هذه الفترة التي تميّزت بتعبئة العالم الإسلاميّ في مواجهة أهل البيت عليهم السلام، بكلّ أساليب الدعاية والإغراء الماديّ والمعنويّ، فكان على المسلم أن يعلن عداءه لنهج أهل البيت عليهم السلام وإلّا لم يكن له إلّا الاضطهاد والظلم والقمع وفي كثير من الأحيان حدّ السيف.

ولكن رغم كلّ الأجواء الضاغطة كان هناك فسحة من الراحة نتيجة انشغال الأمويّين بنزاعاتهم الخاصّة للاستيلاء على الحكم بالإضافة إلى الكثير من الثورات التي انطلقت تباعاً بعد واقعة كربلاء والتي أضعفت الحكم الأمويّ...استفاد منها الإمام الباقر عليه السلام ورسم لنفسه مساراً واضحاً على هدي رسول الله صلى الله عليه وآله، في تبليغ الرسالة، وبيان أحكام الشريعة الإسلامية، ومعالجة كل الانحرافات

العلمية والفكرية التي أُدخلت في ذلك الزمان على الشريعة الإسلامية، ووضع المنهج العلمي الصحيح الـذي يفهم الديـن الإسلامي من خلاله، كما أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وآله، وهذا ما تطلّب تربية جيل من العلماء والفقهاء والمتخصّصين، حتى تمكّن مع ابنه الإمام الصادق عليه السلام من إعادة إحياء أصول الشريعة الإسلامية وفروعها.

المقام العلمي للإمام الباقر عليه السلام

قـال ابن حجر في ترجمـة الإمام محمد الباقـر عليه السلام: سُمي بذلك لأنه من بقر الأرض، أي شقّها، وإثـارة مخبآتها ومكامنهـا، فكذلك هو أظهر من مخبـآت كنوز المعارف وحقائـق الأحكام، والحكم واللطائـف مـا لا يخفى إلا على منطمس البصـيرة أو فاسد الطوية والسريـرة، ومن ثم قيل هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه . والذي يدلّ على سعة علومه أنه مع كثرة ما انتهل العلماء من نمير علومـه، فإنـه كان يجد في نفسه ضيقـاً وحرجاً لكثرة ما عنده من العلوم التـي لم يجد لبثها ونشرهـا سبيلاً ، فكان عليه السلام يقول: «لو وجدت حمَلَة لعلمي الذي أتاني الله عز وجلّ، لنشرت التوحيد والإسلام والدين والشرايع..، وكيف لي بذلك، ولم يجد جدّي أمير المؤمنين عليه السلام حملة لعلمه حتى كان يتنفَّس الصعداء ويقول على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني فإن بين الجوانح علماً جماً... » .

وكان عليه السلام مقصـد العلمـاء من كل البلاد الإسلامية، وما زار أحـدٌ المدينة إلا عرّج على بيت محمد الباقـر عليه السلام يأخـذ منه..، وكان يقصده من أئمة الفقه كثيرون ، فلقد حاز الإمام عليه السلام على شهرة علميـة عالميـة في زمانه، فكان مجلسـه يغصُّ دومـاً بالوافدين من مختلـف أرجاء وأصقـاع الأرض الإسلاميـة، وكانـت مكانته العلمية تستهوي الكثيرين للاستعانة به لحـل المعضلات العلمية والفقهية التي تواجههم.

وقـد فتن بشخصيته في ذلـك الوقت أهل العراق.. وكان الوافدون عليـه عليه السلام يبدون خضوعاً وأملاً كبيريـن بشخصيته العلمية بحيث كان عبد الله بن عطاء المكّي يقول: «ما رأيت العلماء عند أحدٍ قط أصغر منهم عند أبي جعفر. ولقد رأيت الحكم بن عُيينة مع جلالته في القوم بين يديه كأنّه صبيٌّ بين يدي معلّمه» . وذكر ابن شهر آشوب في المناقب: «إنّ أبا جعفر أكبر العلماء» ، وقد أخذ عنه أهل الفقه ظاهر الحلال والحرام . وكان عليه السلام واسع العلم ووافر الحلم ، حتى وصفه هشام بن عبد الملك بأنه «نبـي الكوفة» حين سأله الأبرش الكلبي: «من هذا الذي احتوشته أهل العراق يسألونه؟ قال: هذا نبي

الكوفة وهو يزعم أنّه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وباقر العلم ومفسِّر القرآن» .

العوامل المؤثّرة في المرحلة

يمكن اختصار العوامل المؤثّرة التي ميّزت هذه المرحلة بالآتي:

أ. انتشار الخوف في كافّة المناطق الإسلاميّة خصوصاً بعد واقعة الحرّة.

ب. الانحطـاط الفكريّ الّذي كان يعمّ أكثر الناس في العالم الإسلاميّ، وهذا كان نتيجة للابتعاد عن التعاليم الدينيّة خلال سنوات طويلة.

ج. الفساد السياسيّ المتفشّي بين الحكّام سواء في المستوى النظريّ أم العمليّ.

في ظـلّ هــذه العوامل بدأ الإمام السجّـاد عليه السلام بالعمل المتواصل والدؤوب كما مـرّ معنا، وأكمل ابنه الإمام الباقر عليه السلام من بعده هذا العمل، وفي زمنه كان الوضع قد تحسّن عمّا كان عليه وذلك بفضل جهود الإمام زين العابدين عليه السلام.

إضافـة إلى مـا ذكر وصل الانحـراف في عصر الإمـام الباقر عليه السلام إلى ذروته، سـواء على مستوى الحكـم والسلطة أم على المستوى العقائديّ والدينيّ والثقافيّ، فالحكم صار كتلة ظلم وجور، والعقائد والمفاهيم صارت تتضاربها الأهواء، فكثرت المدارس، وتعدّدت المناهج، وتعمّقت الخلافات.

ويمكن أن نشير، في هذا الإطار، إلى بعض التيّارات الّتي واجهها الإمام عليه السلام:

كالغـلاة: وقـد نشطوا بقيادة المغيرة بن سعيد الّذي قال في حقّـه الإمام الصادق عليه السلام: «لعن الله المغيرة بن سعيد إنّه كان يكذب على أبي»

والمجـبّرة: وهم القائلـون بالجبر الملتزم بإبطال النبـوات والتكاليف، وقد ذكرهـم أغلب من ذكر المجسمة، ولم يصرّح بكفرهم إلا القليل.

والمفوّضة: وهم الذين يقابلون المجبّرة ويقولون بتفويض أمر العباد إليهم، وحال هؤلاء حال المجبّرة أيضاً . وروي عن الإمام الباقر عليه السلام: «إيّاك أن تقول بالتفويض فإنّ الله عزّ وجلّ لم يفوّض الأمر إلى خلقه وهناً منه وضعفاً ولا أجبرهم على معاصيه ظلماً «.

والمرجئـة: وهـي من الإرجاء، أرجأت الأمر أي أخرته، وهم فرقة مـن فرق الذين يزعمون أنّ أهل القبلة كلهم مؤمنون ويعتقدون أنّ الله تعالى أرجأ تعذيبهم عن المعاصي، أي أخره عنهم .

وقال عليه السلام محذّراً منهم: «اللهمّ العن المرجئة فإنّهم أعداؤنا في الدنيا والآخرة» .

المواجهة والمنهج الإصلاحي

لقد حرص الإمام عليه السلام على المعالجة العلمية الشاملة، لكل ما يرتبط بفهم الدين الإسلامي، وممارسته وتطبيقه في الحياة، ولهذا كان منهجه العلمي الإصلاحي شاملاً للجانب العقائدي الذي يستند عليه فكر الإنسان وعقيدته وإيمانه، والجانب الفقهي الذي ينظّم حياة الإنسان وسلوكه الفردي والعام، باعتباره القانون الذي شرّعه الدين الإسلامي لحماية الحقوق وحفظ الواجبات، إضافة للجانب السلوكي والأخلاقي الذي يكفل تطبيقاً صحيحاً لهذا النظام، ويضفي عليه جنبة روحية خاصة.

ولهذا نجد أن منهج الإمام عليه السلام يستوعب كل حقول المعرفة، ويمتاز بسلامة المصدر ووضوح الارتباط بمصادر المعرفة الربّانية المتمثّلة بكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد عمل على تثبيت موقع القرآن الكريم، والسنة الشريفة، وكيفية الاستفادة منهما كمصدرين رئيسين للاستنباط وفهم الدين، وعمل على المعالجة المباشرة للشبهات الفكرية، ووضع أسس النظام الأخلاقي والتربوي عند أهل البيت عليهم السلام، ويمكن إيجاز معالم هذا المشروع بعدة نقاط سيتم الكلام عنها في الدرس القادم بعون الله.

١٢

الدرس الثاني عشر

الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام ٢

الدرس الثاني عشر

الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام ٢

تقدم في الدرس السابق أنه ظهرت تيارات منحرفة في عصر الإمام الباقر (ع)، وقد انبرى الإمام إلى مواجهتها، ووضع أسس لمعالجة الشبهات الفكرية ومنهج إصلاحي يستقيم به الإنسان في مختلف جوانبه الحياتية.

ويمكن إيجاز معالم مشروع الإمام ومنهجه الإصلاحي فيما يلي:

أ. العلم والتعلّم أصلان لا غنى عنهما: حثّ الإمام عليه السلام على طلب العلم، وخصوصاً علم الفقه فقال: «الكمال كل الكمال: التفقه في الدين، والصبر على النائبة وتقدير المعيشة» .

وحرص عليه السلام على نشر العلم وتعليمه للناس بقوله عليه السلام: «من علّم باب هدى فله أجر من عمل به، ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً...»، وجعل على العلم زكاة فقال: «زكاة العلم أن تعلّمه عباد الله».

ب. تربية الفقهاء والمحدّثين: لم يكتفِ الإمام عليه السلام بحفظ الدين بما فيه من تفسير وتفصيلٍ في الأحاديث ووضع القواعد المساعدة على الفهم، بل نجده اهتمّ بتربية ثلّة من الأصحاب وحملة الحديث جعلهم يتفرّغون لذلك، وعهد إلى ابنه الإمام الصادق عليه السلام أن يتولّى القيام بنفقاتهم حتّى تخرّجت على يديه كوكبة من عيون الفقهاء والعلماء.

ويذكرهم الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «كان أصحاب أبي والله خيراً منكم، كان أصحاب أبي ورقاً لا شوك فيه» .

وقد ذكرت كتب التراجم ترجمة أربعمائة واثنين وثمانين شخصاً من تلامذته وأصحابه، منهم العظماء أمثال أبان بن تغلب الّذي قال له الإمام عليه السلام: «اجلس في مسجد المدينة وأفتِ الناس فإنّي أحبّ أن يُرى في شيعتي مثلك»

جـ. القرآن الكريم دستور العقيدة والهداية: فنجد أن الإمام الباقر عليه السلام قد حثَّ المؤمنين على تلاوة كتاب الله العزيز، لأنه المنبع الأصيل والدستور الدائم لهداية الناس، فالقرآن يحيي القلوب بنوره. روى أبو بصير قال: قلت لأبي جعفر إذا قرأت القرآن فرفعت صوتي جاءني الشيطان فقال: إنما ترائي بهذا أهلك والناس، فقال عليه السلام: «يا أبا محمد اقرأ قراءة ما بين القراءتين تسمع أهلك،

ورجِّع بالقرآن صوتك فإن الله يحب الصوت الحسن يرجع فيه ترجيعاً».

وذمَّ الإمام الباقر المحرِّفين لكتاب الله، وهم الذين يؤوِّلون آياته حسب أهوائهم، فقد كتب عليه السلام في رسالته إلى سعد الخير: «وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه، وحرفوا حدوده، فهم يرونه ولا يرعونه والجهّال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية» .

وأعلن رفضه لمنهج تفسير القرآن الذي يعتمد على الآراء الشخصية والاستحسان، فقد دخل عليه الفقيه المعروف قتادة فقال له الإمام عليه السلام: أنت فقيه أهل البصرة؟ «نعم هكذا يزعمون»، بلغني أنك تفسّر القرآن. «نعم»، فأنكر الإمام عليه ذلك وقال له:
«يا قتادة إن كنت قد فسَّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت قد فسّرته من الرجال فقد هلكت وأهلكت، يا قتادة، ويحك، إنما يعرف القرآن من خوطب به» ، بإشارة صريحة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام. وقد أثر للإمام عليه السلام كتاب في التفسير نصَّ عليه ابن النديم في (الفهرست) عند عرضه للكتب المؤلفة في تفسير القرآن الكريم، فقال: «كتاب الباقر محمد بن علي بن الحسين رواه عنه أبو الجارود زياد بن المنذر رئيس الجارودية» وقال السيد حسن الصدر: رواه عنه جماعة من ثقات الشيعة منهم أبو بصير يحيى بن القاسم الأسدي، وأخرجه علي بن إبراهيم القمي في تفسيره .

<u>د. موقع السنة الشريفة وأهميتها في فهم الدين:</u> يعدُّ الحديث المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وله أهميته البالغة ودوره الكبير في بناء الصرح الفقهي والتشريع العملي للحياة الإنسانية. وقد زاد من اهتمام أهل البيت عليهم السلام بنشر سنّة رسول الله وتبليغها ما واجهه الحديث النبوي الشريف من مآسي الدس والتزوير والوضع والتضييع، خلال فترة منع الخلفاء من تدوينه وكتابته بل التحديث به في بعض الأحيان.

واعتنى الإمام الباقر عليه السلام بشكل خاص بحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى روى عنه جابر بن يزيد الجعفي سبعين ألف حديث ، كما روى عنه أبان بن تغلب وغيره من تلامذته وأصحابه مجموعة كبيرة من هذا التراث الضخم. ولم يكتفِ الإمام بنقل الحديث ونشره بل دعا إلى الاهتمام بفهم الحديث والوقوف

علــى معطياته، حتى جعل المقياسـ في فضل الراوي هو فهم الحديث ودرايتــه بمعانيه وأسراره. روى يزيــد الــرزّاز عن أبيه عن أبــي عبد الله الصادق عــن أبيه الباقر عليه السلام أنه قال لــه: «اعرف منازل الشيعــة على قــدر رواياتهم ومعرفتهم، فإن المعرفة هي الدراية للرواية، وبالدراية للرواية يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان» .

هـ. علم الكلام: وبحث الإمــام أبو جعفر في كثير مــن دروسه المسائل الكلاميــة، وسئل عن أعقد المسائــل وأدقّهــا في بحوث هــذا العلم فأجاب عنها، سأله رجل فقال لــه: أخبرني عن ربك متى كان؟ فأجابــه الإمــام عليه السلام: «ويلك! إنما يقال لشيء لم يكن، متى كان؟ إن ربي تبارك وتعالى كان ولم يزل حياً بلا كيف، ولم يكن له كان، ولا كان لكونه كون. كيف! ولا كان له أين، ولا كان في شيء، ولا كان على شــيء، ولا ابتــدع لمكانه مكاناً، ولا قوي بعدما كوّن الأشيــاء، ولا كان ضعيفاً قبل أن يكوّن شيئاً... كان حيــاً بــلا حياة حادثة، ولا كون موصوف ولا كيف محــدود، ولا أين موقوف عليه، ولا مكان جاور شيئاً، بل حي يعرف، وملك لم يزل له القدرة والملك، أنشأ ما شاء حين شاء بمشيئته، لا يحد ولا يبعض، ولا يفنى، كان أولاً بلا كيف، ويكون آخراً بلا أين، وكل شيء هالك إلاّ وجهه، له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين....» .

و. الجانـب الأخلاقــي والتربوي: وضع الإمــام أسس النظام الأخلاقي العــام للفرد والمجتمع. ونشير إلى بعض جنباته في هذه العجالة:

١. الحـث علـى الخصـال الحميـدة: حثَّ عليه السلام علــى التمرّن علــى الأخلاق الفاضلــة والخصائص الحميــدة، فقــال عليه السلام: «عليكم بالورع والاجتهــاد، وصدق الحديث، وأداء الأمانــة إلى من ائتمنكم عليها براً كان أو فاجراً، فلو أن قاتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ائتمنني على أمانة لأديتها» .

٢. حسن الخلق: وحبّب إلى النفوس حسن الخلق والرفق، فقال: «من أعطي الخلق والرفق فقد أعطي الخــير كلّه، والراحة، وحســن حاله في دنياه وآخرته. ومن حُرم الرفق والخلق كان ذلك له سبيلاً إلى كل شرّ وبليّة إلاّ من عصمه الله تعالى» .

٣. العلاقـة بالآخـر علـى أسـاس العلاقـة بـالله: كمــا حــثّ عليه السلام على جعــل الروابــط والعلاقات الاجتماعيــة علــى أساس القرب والبعد من الله تعالى، فقد أورد أحاديث لرسول الله صلى الله عليه وآله تؤكد على ذلك ومنها قوله صلى الله عليه وآله : «ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان، ومن أحبّ في الله، وأبغض

في الله، وأعطى في الله، ومنع في الله، فهو من أصفياء الله» .

٤. عدم إكرام الشرير: روى عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «ألا إن شرار أمتي الذين يكرمون مخافة شرّهم، إلا وإنّ من أكرمه النّاس اتقاء شرّه فليس منّي» .

٥. الترغيب بالأدب الحسن: وحبّب إلى نفوس أصحابه الأدب وحسن السيرة، فقال: «ما استوى رجلان في حسب ودين قط إلاّ كان أفضلهما عند الله آدبهما».

٦. الزهد: وروى عليه السلام عن الإمام عليّ عليه السلام قوله: «إن من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا» .

فقد حبّب الإمام عليه السلام إلى أصحابه السلوك الصالح، بربطه بالعبادة وطلب العون من الله تعالى، فقال: «ما من عبادة أفضل من عفّة بطن وفرج، وما من شيء أحبُّ إلى الله من أن يُسأل، وما يدفع القضاء إلاّ الدعاء، وإن أسرع الخير ثواباً البرّ...» .

٧. الارتباط الدائم بالله تعالى: الارتباط بالله تعالى والاستسلام له والعزم على طاعته من شأنه أن يمحّص القلوب، ويطهّر النفوس، قال عليه السلام: «ما عرف الله من عصاه»، . فإنّ المعرفة تنتج الحبّ والحبّ الصادق يحول بين الإنسان وبين مخالفة محبوبه.

٨. الإقرار بالذنب والتوبة: إن منهج أهل البيت عليهم السلام يهدف إلى علاج النفوس البشرية، واستجاشة عناصر الخير فيها، والى مطاردة عوامل الشر والضعف والغفلة. قال عليه السلام: «والله ما ينجو من الذنب إلاّ من أقرّ به» . والتوبة تمحو الذنب فيعود الإنسان من خلالها إلى الاستقامة ثانية، قال عليه السلام: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ» .

٩. تعميق الحياء الداخلي: ولا بد أن يتسلّح الإنسان بالواعز الذاتي الذي يصدّه عن فعل القبيح، ولذا أكّد الإمام عليه السلام على الحياء لأنه حصن حصين يردع الأهواء والشهوات من الانطلاق اللا محدود. قال عليه السلام: «الحياء والإيمان مقرونان في قرن، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه» .

خلاصة الدرس

- عاشـ الإمـام الباقر عليه السلام في فترة زمنية مفصلية في تاريخ الأمـة في أوج الصراع بين بني أمية وبني مروان على السلطة، ما فسح له المجال لمعالجة كل الانحرافات العلمية والفكرية.
- عُرف عليه السلام بالعلم الوافر، وكان مقصد العلماء من كل البلاد الإسلامية.
- العوامل المؤثرة في المرحلة التي عاشها عليه السلام:

١. انتشار الخوف في كافة المناطق الإسلامية.

٢. الانحطاط الفكري الذي عمّ أكثر الناس في العالم الإسلامي.

٣. الفساد السياسي المتفشي بين الحكام على المستوى النظري أو العملي.

- وضع عليه السلام أسس النظام الأخلاقي والتربوي، ويمكن إيجاز معالمه بالآتي:

١. العلم والتعلّم.

٢. تربية الفقهاء، والمحدثين.

٣. الاهتمام بالقرآن.

٤. فهم الدين من خلال السنة الشريفة.

٥. علم الكلام.

أسئلة الدرس

١. ***كيف كان وضع السلطة في فترة حياة الإمام الباقر عليه السلام؟***

....

....

٢. ***ما هي الطريقة التي اعتمدها الإمام عليه السلام للإصلاح؟***

....

....

٣. ***بماذا اهتمّ الإمام بالإضافة إلى الجانب العلميّ؟***

....

....

٤. ***ضع علامة صحّ أو خطأ في المكان المناسب:***

أ. موضع قبره الشريف في الكاظمية (   )

ب. عاصر الإمام عليه السلام حكم بني العباس (   )

جـ. اهتم الإمام عليه السلام بالجانب العلمي والأخلاقي (   )

د. واجه الإمام عليه السلام تيار الغلو (   )

هـ. كنية الإمام عليه السلام هي «أبو عبد الله» (   )

للمطالعة

علم الإمام الباقر عليه السلام مع شيعته

ينقل أبو بصير أنّ الإمام الباقر عليه السلام سأل رجلاً من أهل أفريقيا عن رجل من شيعته اسمه (راشد)

فأجاب: إنّه بخير ويبلّغك سلامه.

فقال الإمام عليه السلام: يرحمه الله؟

قال الرجل متعجّباً: أهو قد مات؟

فقال: نعم.

فسأل: متى حدث ذلك؟

قال: بعد مغادرتك بيومين.

فقال الرجل: إنّه والله لم يكن مريضاً.

فأجاب: وهل كلّ من يموت فهو عن مرض؟

وعندئذٍ سأل أبو بصير الإمام عليه السلام عن ذلك الشخص المتوفّى.

فقال الإمام عليه السلام:

«إنّه كان من شيعتنا ومحبّينا، أتظنّ أنّه ليس لنا عيون بصيرة وآذان سميعة معكم؟ بئس الظنّ! والله ما من شيء من أفعالكم يخفى علينا، فاعلموا أنّنا معكم وعوّدوا أنفسكم على فعل الخير، وكونوا من أهله حتّى تُعرفوا به ويصبح علامة عليكم، وإنّني لآمر أبنائي وشيعتي بهذا المنهج».

١٣

الدرس الثالث عشر

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

١

الدرس الثالث عشر

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ١

أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن الطالب الظروف السياسيّة المحيطة بعصر الإمام الصادق عليه السلام.

٢. أن يتعرّف إلى جامعة الإمام الصادق عليه السلام ونهضته العلمية.

٣. أن يتعرّف إلى معالم منهج الإمام الصادق عليه السلام الإصلاحي.

الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في سطور

الولادة: ولد يوم الاثنين في السابع عشر من شهر ربيع الأوّل في المدينة المنوّرة سنة ٨٣هـ.

الشهادة: استشهد في شهر شوّال سنة ١٤٨هـ مسموماً على يد المنصور، وهو ابن خمسٍ وستين سنة.

مدّة الإمامة: أربع وثلاثون سنة.

ألقابه: الفاضل، الطاهر، الصادق.

كنيته: أبو عبد الله وأبو إسماعيل.

مدفنه: المدينة المنوّرة، البقيع.

الظروف المحيطة

يُعتبر عهد الإمام الصادق عليه السلام عهد الانفراج الفكريّ لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، طبعاً قياساً بالعهود السابقة التي مرّت بها الأمّة الإسلاميّة. وأسباب هذا الانفراج كثيرة أهمّها ضعف الحكم الأمويّ وانهياره سنة ١٣٢هـ. والبداية الضعيفة لدولة بني العبّاس. ومن الطبيعيّ أن ينشغل الحكّام عن رموز أهل البيت عليهم السلام. لذلك كان الإمام عليه السلام بعيداً عن المواجهة السياسيّة العلنيّة. ولذا سُمّي هذا العصر بعصر انتشار علوم آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

«وكان فضلاء الشيعة ورواتهم في تلك السنين آمنين على أنفسهم مطمئنّين متجاهرين بولاء أهل البيت عليهم السلام معروفين بذلك بين الناس، ولم يكن للأئمّة عليهم السلام مزاحم لنشر الأحكام، فكان يحضر شيعتهم مجالسهم العامّة والخاصّة للاستفادة من علومهم».

ولقـد بلغ الازدهـار العلمي والفكري غايته في عهـد الإمام الصادق عليه السلام فازدهـرت المدينة المنوّرة وزخـرت بطلاب العلوم ووفود الأقطار الإسلاميـة، وانتظمت فيها حلقات الدرس، وكان بيته كجامعة إسلاميـة يزدحم فيه رجال العلم وحملة الحديث من مختلف الطبقات ينتهلون من معين علمه. ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان .

وإلى هذا أشار الجاحظ - وهو من شاهد علماء القرن الثالث «جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه» .

قبس من علمه ومناقبه

«أمّـا مناقبـه وصفاته فتكاد تفوق عـدد الحاصر ويحار في أنواعها فهم اليقـظ الباصر، حتّى إنّ من كـثرة علومه المفاضـة على قلبه من سجال التقوى صـارت الأحكام التي لا تُـدرَك عللها والعلوم التي تقصر الأفهام عن الإحاطة بحكمها تُضاف إليه وتُروى عنه» .

وقـال كمـال الدين محمّد بن طلحة: هـو - «أيّ الإمام الصادق عليه السلام - من عظمـاء أهل البيت عليهم السلام وساداتهم ذو علوم جمّة وعبادة موفورة وأوراد متواصلة وزهادة بيّنة وتلاوة كثيرة يتتبع معاني القرآن الكريم ويستخرج من بحره جواهره ويستنتج عجائبه ويقسّم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليهـا نفسه. رؤيته تذكّـر بالآخرة واستماع كلامه يزهّد في الدنيا والاقتـداء بهداه يورث الجنة، نور قسماتـه شاهد أنّه من سلالة النبوّة، وطهارة أفعاله تصدع بأنّه من ذريّة الرسالة، نقل عنه الحديث واستفـاد منـه العلم جماعة من أعيان الأئمّة وأعلامهم مثل: يحيى بـن سعيد الأنصاريّ وابن جريح ومالك بن أسد والثوريّ وابن عيينة وأبي حنيفة وأيوب وغيرهم، وعدّوا أخذهم منه منقبة شُرّفوا بها وفضيلة اكتسبوها» .

إذاً، قد شهد القاصي والداني والمؤالف والمخالف أنّ الإمام صاحب المقام العلميّ الرفيع الّذي لا ينازعه أحـد. حتّى توافدت كلمات الثناء والإكبار والإعجاب عليه من قبل الحكّام، وأئمّة المذاهب، والمؤرّخين وأصحاب السير... وقد أجمع العلماء مثل: المفيد، والطبرسيّ، والفتّال النيسابوريّ، والشهيد الثاني، وابن شهر آشوب، وغيرهم أنّه نُقل عن الإمام من الروايات ما لم يُنقل عن أحد غيره.

وهنـــاك شواهد كثيرة على عظمة الإمام الصـــادق عليه السلام العلمية، وهو أمر متفق عليه من قبل علماء الشيعــة والسنّة، فالفقهاء والعلمــاء الكبار يتواضعون أمام عظمته العلميــة ويمدحون تفوقّه العلمي، فأبو حنيفة إمام المذهب الحنفي الشهير كان يقول: «ما رأيت أعلم من جعفر بن محمد» .

ويقــول أيضاً: لما أقدمه (جعفر بن محمــد) المنصور بعث إليّ فقال: «يا أبا حنيفة إنّ الناس قد فتنوا بجعفــر بن محمــد فهيّئ له من مسائلك الشداد فهيّأت له أربعين مسألــة، ثمّ بعث إليّ أبو جعفر وهو بالحــيرة فأتيته، فدخلت عليه وجعفر جالس عن يمينــه، فلمّا بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر المنصور، فسلّمت عليه، فأومأ إليّ فجلست.

ثمّ التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة.

قال عليه السلام: نعم أعرفه.

ثمّ التفت إليّ فقال: يا أبا حنيفة ألق على أبي عبد الله من مسائلك.

فجعلــت أُلقي عليه فيجيبني، فيقول أنتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا، فربما تابعنا وربما تابعهم وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على الأربعين مسألة فما أخل منها بشيء.

ثمّ قال أبو حنيفة وبعد ما بلغ إلى هذا الوضع: «أليس أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس؟» .

وقــال مالك إمــام المذهب المالكي: «اختلفت إلى جعفر بن محمد زماناً، فمــا كنت أراه إلاّ على إحدى ثلاث خصال: إمّا مصلياً، وإمّا صائماً، وإمّا يقرأ القرآن، وما رأيته قط يحدّث عن رسول الله إلاّ على طهــارة . ولا يتكلــم بما لا يعنيه. وكان من العلماء العبّاد والزهّاد الذين يخشون الله، وما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً» .

وكتــب الشيــخ المفيد: «ونقل الناس عنــه –الصادق عليه السلام– من العلوم ما سارت بــه الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته ما نقل عنه من العلوم» .

الجامعة الجعفرية الكبرى

نظراً لتوفر الفرصة السياسية المناسبة وحاجة المجتمع الماسّة واستعداد الأرضية الاجتماعية، واصل الإمــام الصــادق جهوده في النهضة العلميــة والثقافية التي ابتدأها أبوه الإمــام محمد الباقر وأسّس مدرسة وجامعة علمية كبيرة علّم وربى فيها تلامذة كباراً وبارزين، أمثال: هشـام بن الحكم، محمد بــن مسلــم، أبان بن تغلب، هشام بن سالم، مؤمن الطاق، المفضــل بن عمر، وجابر بن حيان و... في مختلف المجالات العقلية والنقلية، وقد ناهز عدد تلامـذته الأربعة آلاف طالب كما قالوا.

وكان كلّ واحـد مـن هؤلاء الطلاب شخصية علميـة كبيرة متألّقة، وقد قدّمـوا خدمات كبيرة، وكان لبعض منهم مؤلفات علمية وتلامذة كثيرون، فمثلاً كان لهشام بن الحكم واحد وثلاثون كتاباً . وألّف جابـر بـن حيان أكثر مـن مائتي كتاب في مواضيع علميـة مختلفة لا سيما العلـوم العقلية والطبيعية والكيميائيـة وقـد اشتهر لذلـك بأبي علم الكيمياء وقـد ترجمت كتبه في القـرون الوسطى إلى لغات أُوروبية عديدة، وقد أطراه مؤرّخو العلوم جميعهم.

تصحيح منهج الاجتهاد

لقـد حرص الإمام الصادق عليه السلام على المعالجة العلمية الجديّـة والشاملة، للواقع العلمي بشكل عام والفقهـي بشـكل خاص، نظراً لمـا يشكّل الفقه من نظـام للحياة الفردية والاجتماعيـة وينظّم علاقة الإنسان بربّه وبباقي بني جنسه.

وتكوّن المنهج الإصلاحي من مجموعة من الخطوات أهمها:

الأولى: رفض منهج الاجتهاد السائد

لقـد عمل الإمامان عليهما السلام على تصحيح منهج الاجتهاد الفقهـي إلى جانب التفقّه في الدين بشكل عام.

وإلى هذا أشار الصادق عليه السلام وبقية الأئمة عليهم السلام في العديد من المناسبات:

روى الكليني... قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ أصحاب المقائيس طلبوا العلم بالمقائيس، فلم تزدهم المقائيس من الحقّ إلا بعداً، وإنّ دين الله لا يصاب بالمقائيس .

وروى الكليني أيضاً... عن أبي الحسن موسى عليه السلام في حديث: ما لكم وللقياس؟ إنّما هلك من هلك مـن قبلكـم بالقياس، ثمّ قال: إذا جاءكم ما تعلمون فقولوا به، وإذا جاءكم ما لا تعلمون فها – وأهوى بيده إلى فيه – .

وعن الصادق عليه السلام: «دع القياس والرأي وما قال قوم في دين الله ليس له برهان» .

الثانية: منهج التعامل مع الشريعة والفقه

وذلك من خلال تأصيل منهج الاجتهاد الفقهي واستنباط أحكام الشريعة، وقد تمثّل ذلك في الرسائل العلميّـة التي دوّنها أصحابـه في أصول الفقه، والفقه، والحديث التي تميّـزت بالاعتماد على مدرسة أهل بيت الوحي اتّخاذها أساساً للفقه والإفتاء دون الرأي والاستحسان، وذلك من خلال:

١. تحديد مرجعية النص: ربط كل ما يصدر عنهما من روايات وأخبار بمرجعيّة النص الأساسية المتمثّلة برسول الله، فلا حجية لجميع أنواع النصوص الواردة بطرق أخرى، أو لا تنتسب إلى رسول الله من هذا الطريق: فقال عليه السلام: «حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ» .

٢. تحديد مصادر الفتاوى: ونفى صدور الفتاوى عنهم عليهم السلام مع ما لهم من الشأن والموقع العلمي الذي لا يضاهيهم فيه أحد، وفي هذا إشارة واضحة إلى بطلان وعدم حجية جميع الفتاوى التي يصدرها المجتهدون بالإعتماد على القياس ونحوه، فقال عليه السلام: «إنا لو كنّا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين ولكنّا نفتيهم بآثار من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصول علم عندنا نتوارثها كابراً عن كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضّتهم».

فما يميّز هذه المدرسة هو أنها تتّصل اتصالاً مباشراً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبالوحي، وقال عليه السلام: «لو انّا حَدَّثنا برأينا ضَلَلْنا، كما ضَلَّ من كان قبلنا، ولكِنَّا حَدَّثنا بِبَيِّنَة من رَبِّنا بَيَّنها لنبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم ، فَبَيَّنَها لَنا» .

١٤

الدرس الرابع عشر

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

٢

الدرس الرابع عشر

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ٢

تابع: المنهج الإصلاحي للإمام الصادق(ع):

وتقدم الكلام في النقطتين التاليتين:

❖ رفض منهج الاجتهاد السائد

❖ منهج التعامل مع الشريعة والفقه

وفي هذا الدرس نأخذ بقية منهج الإمام(ع):

٣. وضع منهج التفقّه في الدين: وقد تكفّلت كتب أُصول الفقه ببيان قواعد استنباط الأحكام وكيفية التعامل مع الأحاديث والأخبار المدوّنة في الحديث وأُصوله. وعلّم طلاّبه كيفية استنباط الأحكام من مصادر التشريع كما علّمهم كيفية التعامل مع الأحاديث المتعارضة، ويمكن بيان مكوّنات هذا المنهج بالأمور التالية:

أ. رفض ما يخالف الكتاب: فصرّح عليه السلام بوجوب رفض الأحاديث التي تعارض القرآن فعنه عليه السلام: «ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف» . وعنه أيضاً: «إنّ على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه» .

ب. بيان كيفية معالجة الأحاديث المتعارضة: وفي حالة تعارض الأحاديث فيما بينها قال عليه السلام: «اذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلاّ فالّذي جاءكم به أولى به» .

عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث، فقال: «ينظران من كان منكم ممّن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً، فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه، فإنّما استخفّ بحكم الله وعلينا ردّ، والرادّ علينا الرادّ على الله وهو على حدّ الشرك بالله...» .

جـ. التفريع عن الأصول: عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّما علينا أن نلقي

إليكم الأُصول وعليكم التفريع» .

وعن ابن مسكان، عن حبيب قال: قال لنا أبو عبدالله عليه السلام: «ما أحد أحبّ إليّ منكم، إن الناس سلكوا سبلاً شتّى منهم من أخذ بهواه، ومنهم من أخذ برأيه وإنّكم أخذتم بأمر له أصل».

د. تأسيس القواعد الفقهيّة الكلية: يلاحظ في مجموعة كبيرة من الروايات الواردة عن الأئمة عليهم السلام أنها قد تحدّثت عن قواعد كلية للفقه والأصول والحديث. كان الأئمة عليهم السلام يأمرون أكابر صحابتهم وتلامذتهم أن يجلسوا في المسجد ويفتوا الناس. وقد شكّلت هذه القواعد الكلية في عصر الغيبة جزأً هاماً من منهج وأدوات الاجتهاد عند الإمامية. ونسوق فيما يلي بعض الروايات والحوادث في هذا المجال:

عن موسى بن بكر، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام، الرجل يغمى عليه يوماً أو يومين أو الثلاثة أو الأربعة أو أكثر من ذلك، كم يقضي من صلاته؟ قال: «ألا أخبرك بما يجمع لك هذه الأشياء كلّها؟ كلّما غلب الله عليه من أمر فالله أعذر لعبده» .

هـ. حث الأصحاب من الفقهاء على الإفتاء:

١.عن الإمام الصادق عليه السلام لأبان بن تغلب: اجلس في مسجد المدينة وأفتِ الناس، فإنّي أحبّ أن يُرى في شيعتي مثلك .

٢. ما رواه عبد العزيز بن المهتدي عن الإمام الرضا عليه السلام قال: سألته فقلت: إنّي لا أقدر على لقائك في كلّ وقت، فعمّن آخذ معالم ديني؟ فقال عليه السلام: خذ عن يونس بن عبد الرحمن .

الثالثة : التدوين

وتميّزت أيضاً مدرسة الإمام عليه السلام بالاهتمام بالتدوين بشكل عام بل ومدارسة العلم لإنمائه وإثرائه. فكان عليه السلام يأمر طلّابه بالكتابة ويؤكّد لهم ضرورة التدوين والكتابة كما تجد ذلك في قوله عليه السلام: «إحتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون اليها» .

وكان يشيد بنشاط زرارة الحديثي إذ كان يقول: «رحم الله زرارة بن أعين لولا زرارة ونظراؤه لاندرست أحاديث أبي» .

وقال فيه وفي جماعة من أصحابه منهم أبو بصير، ومحمد بن مسلم، وبريد العجلي: «لولا هؤلاء

مـا كان أحـد يستنبط هذا الفقـه، هؤلاء حفّاظ الديـن واُمناء أبي عليه السلام على حلالـه وحرامه وهم السابقون الينا في الدنيا والآخرة».

الرابعة: مرجعيّة الكتاب والسنة

أ. جامعيّة الكتاب والسنة للشريعة: – عن حمّاد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «ما من شيء إلاّ وفيه كتاب أو سنّة».

– وعـن مُـرازم عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ الله تبـارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء، حتـى والله مـا ترك الله شيئاً يحتاج إليـه العباد، حتى لا يستطيع عبد أن يقـول: لو كان هذا أنزل في القرآن، إلاّ وقد أنزل الله فيه».

.وعـن المعلـى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما من أمـر يختلف فيه اثنان، إلاّ وله أصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال».

ب. وجوب الردّ إلى الكتاب والسنة وأخذ الأحكام منهما:

– روى الكليني... قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كلّ شيء مردود إلى الكتاب والسنة..».

– وفي حديث آخر عنه عليه السلام: «من خالف كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد كفر».

سعة جامعة الإمام الصادق عليه السلام

قـارع الإمام الصادق عليه السلام جميع التيارات الفكرية والدينيـة السائدة في تلك الفترة وأوضح موقف الإسـلام حيالها جميعاً، وأثبت أفضلية العقيدة الإسلاميـة. ولم تقتصر جامعة الإمام الصادق على الطـلاب الشيعـة، وقد زخرت بطلاب العلم مـن مختلف المذاهب السنّية أيضـاً، وكان أئمّة المذاهب السنّية المشهورين- بشكل مباشر وغير مباشر- تلامذة لديه يفيدون منه، وكان على رأسهم أبو حنيفة الـذي لازم الإمام سنتين وجعل هاتين السنتين مصدر علمـه ومعرفته وكان يقول: لولا السنتان لهلك النعمان.

وقـد كان تلامـذة الإمام من الأقطار المختلفة مثل الكوفة والبصـرة وواسط، والحجاز وغيرها، ومن مختلف القبائل مثل بني أسد، المخارق، طي، سليم، غطفان، الأزد، خزاعة، خثعم، بني ضبة، وقريش لا سيما بنو الحارث بن عبد المطلب وبنو الحسن الذين اتصلوا بتلك الجامعة.

وكفى بما قاله «الحسن بن علي بن زياد الوشّاء» الذي كان من تلامذة الإمام الرضا عليه السلام والمحدّثين الكبار في سعة جامعة الإمام ورحابتها: أدركت في هذا المسجد ـ الكوفة ـ تسعمائة شيخ كلّ يقول حدّثني جعفر بن محمد.

وكان الإمام الصادق عليه السلام يشجع ويعلّم ويرغب تلاميذه في العلم الذي يتناسب مع ذوقهم وطبيعتهم، وفي

النهاية كان كلّ واحد منهم يتخصّص في مجال علمي واحد أو مجالين مثل الحديث، التفسير، علم الكلام وغيرها.

وكان عليه السلام يرشد بعض العلماء الذين يراجعونه للبحث والمناظرة إلى المناظرة مع أحد الطلاب الذي تخصص في ذلك العلم.

قال هشام بن سالم: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه، فورد رجل من أهل الشام فاستأذن، فأذن له، فلمّا دخل سلّم، فأمره أبو عبد الله عليه السلام بالجلوس، ثمّ قال له: «حاجتك أيّها الرجل؟» قال: بلغني أنّك عالم بكلّ ما تسأل عنه، فصرت إليك لأُناظرك.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: في ماذا؟

قال: في القرآن، وإسكانه وخفضه ونصبه ورفعه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «يا حمران دونك الرجل!».

فقال الرجل: إنّما أُريدك أنت لا حمران.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن غلبت حمران فقد غلبتني».

فأقبل الشامي يسأل حمران حتى غرض وحمران يجيبه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «كيف رأيت يا شامي؟».

قال: رأيته حاذقاً ما سألته عن شيء إلاّ أجابني فيه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «يا حمران سل الشامي» فما تركه يكشر.

فقال الشامي: أُريد يا أبا عبد الله أُناظرك في العربية!

فالتفت أبو عبد الله عليه السلام فقال: «يا أبان بن تغلب ناظره»، فناظره فما ترك الشامي يكشر.

فقال: أُريد أن أُناظرك في الفقه!

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «يا زرارة! ناظره!» فناظره فما ترك الشاميّ يكشر.

ثمّ قال: أُريد أن أُناظرك في الكلام!

قال: «يا مؤمن الطاق ناظره»، فناظره فسجل الكلام بينهما، ثمّ تكلم مؤمن الطاق بكلامه فغلبه به.

وهكذا عندما أراد الشامي أن يناظر في الاستطاعة – قدرة الإنسان على فعل الشر والخير– والتوحيد والإمامة أمر الإمام وبالترتيب كلاً من حمزة الطيار وهشام بن سالم وهشام بن الحكم بمناظرته، فغلبوه بأدلّة قاطعة ومنطق مفحم.

وبمشاهدة ذلك المشهد المثير ارتسمت ابتسامة جميلة على شفتي الإمام فرحاً .

الإمام الصادق والمنصور

كان أبو جعفر المنصور قلقاً جداً من نشاطات وتحركات الإمام الصادق السياسية، وممّا جعله يزداد قلقاً محبوبية الإمام الصادق عليه السلام ومنزلته العلمية الكبيرة، لذلك كان يُحضر الإمام إلى العراق بين الحين والآخر بذريعة وأُخرى، ويخطّط لقتله وفي كلّ مرة كان الخطر يزول عن الإمام بنحو أو بآخر .

كان المنصور يراقب تحركات الشيعة في المدينة بدقة، وكان له جواسيس ينظرون من ثبتت شيعيته فيضربون عنقه .

وكان الإمام الصادق عليه السلام يمنع أصحابه من التعاون والتعامل مع الجهاز الحاكم.

وقد سأله أحد أصحابه يوماً: جعلت فداك –أصلحك الله– إنّه ربما أصاب الرجل منّا الضيق والشدة، فيدعى إلى بناء يبنيه أو نهر يكريه أو المسناة يصلحه، فما تقول في ذلك؟

فقال عليه السلام: «ما أحب أن اعقد لهم عقدة أو وكيت لهم وكاء – يعني بني العباس – وأنّ لي ما بين لابتيها ولا مدة بقلم، إنّ أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد» .

وكان الإمام يمنع الشيعة من الترافع إلى قضاة الجهاز العباسي، وينهاهم ولا يعتبر الأحكام التي يصدرونها واجبة التنفيذ شرعاً.

وكان يحذّر الفقهاء والمحدّثين من الانتماء إلى الحكومة ويقول: «الفقهاء أُمناء الرسل، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا إلى السلاطين فاتهموهم» .

وكتب أبو جعفر المنصور إلى الإمام يوماً: لولا تغشانا كما تغشانا سائر الناس.

فأجابه الإمام: «ما عندنا من الدنيا ما نخافك عليه، ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنّيك عليها، ولا تعدها نقمة فنعزيك بها، فلم نغشاك؟!»، فكتب المنصور: تصحبنا لتنصحنا، فأجابه الإمام: «من أراد الدنيا فلا ينصحك، ومن أراد الآخرة فلا يصحبك» .

خلاصة الدرس

- يعتبر عهد الإمام الصادق عليه السلام عهد الانفراج الفكري لمدرسة أهل البيت عليهم السلام. وقد بلغ الازدهار العلمي والفكري غايته، وزخرت بطلاب العلوم ووفود الاقطار الإسلامية.
- شهد القاصي والداني والمؤالف والمخالف أن الإمام عليه السلام صاحب مقام علمي رفيع لا ينازعه أحد.
- أهم الخطوات التي قام بها عليه السلام في منهجه الاصلاحي:

الأولى: رفض منهج الاجتهاد الذي كان سائداً.

الثانية: تأجيل منهج الاجتهاد الفقهي من خلال:

١. تحديد مرجعية النصف.

٢. تحديد مصادر الفتاوى.

٣. وضع منهج التفقه في الدين.

الثالثة: التدوين.

- الرابعة: اعتبار المرجعية الأساس هي الكتاب والسنّة.
- كان المنصور العباسي قلقاً جداً من تحركات الإمام لذلك حاول قتله عدّة مرّات.
- كان الإمام عليه السلام يمنع أصحابه من التعاون والتعامل مع الجهاز الحاكم.
- كان عليه السلام يمنع الشيعة من الترافع إلى قضاة الجهاز العباسي.

أسئلة الدرس

١. *في أيّ سنة انهار الحكم الأمويّ؟*

....

....

٢. *كيف كان موقف الإمام الصادق عليه السلام من ثورة عمّه زيد بن عليّ؟*

....

....

٣. *تحدث عن خصائص جامعة الامام عليه السلام ونهضته العلمية.*

....

....

....

....

٤. *ضع علامة صح أو خطأ في المكان المناسب:*

أ. لم يعاصر الإمام عليه السلام أحداً من الحكام العباسيين. (   )

ب. موضع قبره الشريف في المدينة المنورة. (   )

جـ. أبو حنيفة النعمان درس على يدي الإمام عليه السلام. (   )

د. قام عليه السلام بتصحيح منهج الاجتهاد. (   )

هـ. عاصر الإمام عليه السلام أبا جعفر المنصور. (   )

للمطالعة

الحالة السياسيّة وثورة زيد

زيد بن عليّ عليه السلام أحد الثوّار الكبار في عصره. وهو عمّ الإمام الصادق عليه السلام. وحينما صمّم على الثورة جاء إليه جابر بن يزيد الجعفيّ يسأله عن سبب تصميمه على الثورة ويخبره بأنّه لو خرج يُقتل.

فقال زيد لجابر: «يا جابر لم يسعني أن أسكت وقد خُولف كتاب الله وتُحوكم بالجبت والطاغوت، وذلك أنّي شاهدت هشاماً ورجل عنده يسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت للسابّ: ويلك يا كافر، أما أنّي لو تمكنّت منك لاختطفت روحك وعجّلتك إلى النار.

فقال لي هشام: مَه جليسنا يا زيد.

قال زيد لجابر: «فوالله لو لم يكن إلّا أنا ويحيى ابني لخرجت عليه وجاهدته حتّى أفنى» .

ومن هنا فجّر زيد ثورته المباركة. وبعد شهادته أمر هشام بصلب جثمانه الطاهر في الكناسة في الكوفة.

أمّا موقف الإمام عليه السلام من عمّه زيد فقد كان الإمام عليه السلام في مواقف عديدة يتبنّى الدفاع عن عمّه ويترحّم عليه ويوضح منطلقاته وأهدافه ويرسّخ في النفوس مفهوماً إسلاميّاً عن ثورته حيث يعتبر هذه الثورة جزءاً من حركته المباركة.

عن الفضيل بن يسار يقول: ذهبت إلى المدينة بعد قتل زيد لألتقي بالإمام الصادق عليه السلام وأخبره بنتائج الثورة، وبعد أن التقيته وسمع منيّ ما دار في المعركة قال عليه السلام:

يا فضيل شهدت مع عمّي قتال أهل الشام؟

قلت: نعم.

قال عليه السلام: كم قتلت منهم؟

قلت: ستة.

قال عليه السلام: فلعلّك شاكٌّ في دمائهم؟

قال: فقلت: لو كنت شاكّاً ما قتلتهم.

ثمّ قال: سمعته وهو يقول:

أشركني الله في تلك الدماء. مضى والله زيد عمّي وأصحابه شهداء، مثل ما مضى عليه عليّ بن أبي طالب وأصحابه .

١٥

الدرس الخامس عشر

الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

الدرس الخامس عشر

الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

أهداف الدرس

١. أن يعرف الطالب الظروف العامّة الّتي رافقت تصدّي الإمام الكاظم عليه السلام للإمامة.

٢. أن يستذكر أولويّات المواجهة لدى الإمام عليه السلام.

٣. أن يستذكر أسباب سجن الإمام عليه السلام واستشهاده.

الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام في سطور

الولادة: ولد عليه السلام يوم الأحد السابع من شهر صفر سنة (١٢٨هـ) في مدينة الأبواء بين مكّة والمدينة.

الشهادة: استشهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مسموماً ببغداد في حبس السنديّ بن شاهك في الخامس والعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة (١٨٣هـ). وهو ابن أربع وخمسين سنة.

ألقابه: العبد الصالح، الكاظم، الصابر، الأمين، باب الحوائج، ذو النفس الزكية، زين المجتهدين، الوفيّ، المأمون، الطيّب.

كنيته: أبو إبراهيم، أبو عليّ، أبو إسماعيل وأبو الحسن الأوّل.

مدفنه: بغداد في مقابر قريش.

الظروف العامّة

طارد العبّاسيّون ذريّة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأتباعهم، ولاحقوهم على امتداد العالم الإسلاميّ، وحاولوا استئصالهم خوفاً من ثوراتهم ومكانتهم ومدى تأثيرهم في قلوب الناس. وقد أُحصي الكثير من الشهداء الذين قُتلوا ابتداءً من تسلّم أبي العبّاس السفّاح السلطة حتى شهادة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وكان أشهرهم الشهيد محمّد بن عبد الله بن الحسن النفس الزكيّة المقتول سنة ١٤٥هـ والشهيد الحسين بن عليّ بن الحسن شهيد فخّ الّذي استشهد سنة ١٦٩هـ، بالإضافة إلى استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام نفسه على يد هارون الرشيد سنة ١٨٣هـ بعد سنين قضاها يتنقّل في سجون هذا الطاغية.

وفي هـذه الفترة انتشر الفسـق وشرب الخمر والمجون الّذي غصّت به قصـور الخلفاء، وكانت أموال بيت المال تُصرف على المغنّين والجواري وأمثالهم. وينقل أبو الفرَج الأصفهاني: «أُهديت إلى الرشيد جاريـة... وأخرج كلّ قينة في داره واصطبح فـكان جميع من حضره من جواريه المغنّيات والخدمة في الشراب زهاء ألفي جارية في أحسن زيّ من كلّ نوع من أنواع الثياب والجواهر..

فلمّا جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلّا وعليّة قد خرجت من حجرتها وأمّ جعفر من حجرتها معها زهاء ألفي جارية من جواريها..

فطـرب الرشيـد وقام علـى رجليه حتّى استقبل أمّ جعفـر وعليّة وهو على غاية السـرور وقال: «لم أر كاليوم قطّ، يا مسرور لا تبقينّ في بيت المال درهماً إلّا نثرته، فكان مبلغ ما نثره يومئذٍ ستّة آلاف ألف درهم» .

هـذا نموذج يحكي عـن الاستهتار الفاحش بأمـوال المسلمين، والخروج عن أحـكام الدين، في الوقت الـذي كانت الأكثريّـة الساحقة في البلاد الإسلاميّة تعاني الفقر والحرمـان. ومن شعر قاله الشاعر أبو العتاهية:

إنّي أرى الأسعار أسعار الرعيّة غالية ... وأرى المكاسب نزرة وأرى الضرورة فاشية

وأرى غموم الدهر رائحة تمرّ وغادية ... وأرى اليتامى والأيامى في البيوت الخالية

من بين راجٍ لم يزل يسمو إليك وراجية ... يرجون رفدك كي يروا ممّا لقوه العافية

مَن للبطون الجائعات وللجسوم العارية ... يشكون مجهدة بأصوات ضعاف عالية

وأمّـا على المستوى العلميّ فقد كثرت الشبهات على الناس ونشأ الكثير من الفرق والمذاهب والتيّارات المنحرفة، حتّى وصل بعضها إلى الإلحاد .

أولويّات المواجهة

لقد أظهر الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام العلوم والمعارف الإسلاميّة الأصيلة وحدّدا المناهج والأصول والمعـالم. وبـدأ الإمام الكاظـم عليه السلام بدور آخر تجلى في المواجهـة السياسيّة، وبـدأ بخطوات عمليّة عديـدة في هـذا الإطار. وأمّا الجهاد العسكريّ فلم تكـن الأمّة جاهزة لمثل هذا الخيار وهذا ما نجده في كلمته لشهيد فخّ الحسين بن عليّ عندما رآه عازماً على الخروج: «إنّك مقتول فأجدّ الضراب، فإنّ

القوم فسّاق يظهرون إيماناً ويضمرون نفاقاً وشركاً فإنّا لله وإنّا إليه راجعون وعند الله أحتسبكم من عصبة» .

وقد ارتسم هذا العمل السياسيّ غير المسلّح في العديد من الأمور:

١. بيان حقّ الإمام عليه السلام بالخلافة

هذا البيان الّذي انتقل من إطاره العلميّ إلى إطار التحدّي وصناعة الجوّ السياسيّ. وممّا ينقل أنّه لمّا زار هارون قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد احتفى به الأشراف والوجوه والوزراء وكبار رجال الدولة، أقبل على الضريح المقدّس ووجّه للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم التحيّة قائلاً: السلام عليك يا بن العمّ، قاصداً الافتخار على من سواه برحمه الماسّة من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم داعماً خلافته من خلال ذلك، وكان الإمام عليه السلام موجوداً فسلّم على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: السلام عليك يا أبتِ.

ففقد الرشيد صوابه وانتفخت أوداجه وقال: لِمَ قلت إنّك أقرب إلى رسول الله منّا؟

فقال عليه السلام: «لو بُعث رسول الله حيّاً وخطب منك كريمتك هل كنت تجيبه إلى ذلك؟».

فقال هارون: سبحان الله! وإنّي لأفتخر بذلك على العرب والعجم.

فقال عليه السلام: «ولكنّه لا يخطب منّي، ولا أزوّجه، لأنّه والدنا لا والدكم فلذلك نحن أقرب إليه منكم» .

٢. النفوذ إلى السلطة والتأثير من داخلها

لقد استطاع الإمام أن ينفذ من خلال بعض شيعته إلى مركز القرار واضعاً عيوناً له تنقل التوجّهات للاتّقاء منها من جهة ولمحاولة التأثير في تلك القرارات من جهة أخرى، أو على الأقلّ لخدمة المؤمنين ورفع الظلم عنهم بالقدر الممكن. ومن تلك الشخصيّات عليّ بن يقطين، الّذي كان وزيراً لهارون الرشيد، وقد قال له الإمام الكاظم عليه السلام: «يا عليّ إنّ لله تعالى أولياءَ مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه وأنت منهم يا عليّ» .

وكان الإمام عليه السلام حريصاً على أمن عليّ بن يقطين وعدم كشفه من قبل هارون وأعوانه. ومرّة أهدى الرشيد إلى ابن يقطين ثياباً فاخرة فيها درّاعة فاخرة فقام من فوره وأهداها إلى الإمام عليه السلام فردّها الإمام عليه السلام وكتب إليه: «احتفظ بها ولا تخرجها عن يدك فسيكون لك بها شأن تحتاج إليها معه» .

وبعدها جاء ساعٍ إلى هارون يقول له إنّ عليّ بن يقطين يقول بإمامة موسى الكاظم، وإنّه قد حمل

إليه في هذه السنة تلك الدرّاعة السوداء التي أكرمته بها، فاستدعى هارون عليّ بن يقطين وقال له: ما فعلت بالدرّاعة السوداء الّتي كسوتك بها وخصصتك بها من بين سائر خواصّي؟

فقال ابن يقطين: «هي عندي يا أمير المؤمنين، في سفط من طِيْبٍ مختومٌ عليها، فطلب إحضارها، فأرسل من يحضرها من مكانها. وعندما رآها هارون قال: ردّها إلى مكانها وخذها وانصرف راشداً فلن نصدّق بعدها عليك ساعياً» .

٣. مواجهة السلطة وفضح ظلمها

كان الإمام عليه السلام يُظهر عدم شرعيّة هذه السلطة. ومما يُنقل أنّ هارون قال لأبي الحسن الكاظم عليه السلام حين أُدخل عليه: ما هذه الدار؟

فقال عليه السلام: هذه دار الفاسقين.

فقال له هارون: فدار من هي؟

قال: هي لشيعتنا فترة ولغيرهم فتنة.

قال: فما بال صاحب الدار لا يأخذها؟

فقال عليه السلام: أُخذت منه عامرة ولا يأخذها إلّا معمورة.

قال: فأين شيعتك؟

فقرأ أبو الحسن عليه السلام: **﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾**[1].

فقال له: فنحن كفّار؟

قال عليه السلام: لا، ولكن كما قال الله **﴿..الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾** [2].

فغضب عند ذلك وغلظ عليه .

أسباب سجن الإمام عليه السلام:

١. حقد هارون على كلّ شخصيّة بارزة: لم يرق لهارون أن يسمع الناس يتحدّثون عن أيّ شخص يتمتّع بمكانة عليا. ويكفي دليلاً على ذلك ما فعله بالبرامكة حيث محا وجودهم رغم كونهم

(١) البينة:١

(٢) إبراهيم:٢٨

حاشيته ورجاله، بعد أن ذاع اسمهم بين الناس وصار لهم عزّ وجاه.

٢. بغضه للعلويّين

فقد كان هارون حاقداً على العلويّين وكان يتفنّن في تقتيلهم والبطش بهم، فلم يكن مرتاحاً لوجود سيّدهم الكاظم عليه السلام في دعة واطمئنان وأمان.

٣. الوشاية به عليه السلام

وهذا هو السبب الأساس، فقد وشى بعض المتزلّفين لهارون بالإمام الكاظم عليه السلام، وتناولت الوشاية أموراً عديدة، منها:

أ. جباية الأموال له: ففي الوقت الذي كان يقوم هارون الرشيد بحصار العلويّين اقتصاديّاً لتجويعهم وإفقارهم وصلت إليه وشاية تخبره أنّ الأموال تصل إلى الإمام عليه السلام من جميع أقطار العالم الإسلاميّ وأنه اشترى ضيعة تسمّى البسريّة بثلاثين ألف دينار.

ب. طلب الخلافة: ويذكر المؤرّخون من الواشين عليّ بن اسماعيل بن جعفر حيث خرج إلى بغداد فدخل على الرشيد وقال له: ما ظننت أنّ في الأرض خليفتين حتّى رأيت عمّي موسى بن جعفر يُسلَّم عليه بالخلافة. فلمّا سمع ذلك هارون فَقَدَ صوابه.

ومن الأمور التي ملأت قلب هارون غيظاً، أنّه كان يقول لموسى بن جعفر عليه السلام: خذ فدكاً حتّى أردّها إليك، فيأبى حتّى ألحّ عليه.

فقال عليه السلام: لا آخذها إلّا بحدودها.

قال: وما حدودها؟

قال عليه السلام: إن حددتها لم تردّها.

قال: بحقّ جدّك إلّا فعلت.

قال عليه السلام: أمّا الحدّ الأوّل فعدن، فتغيّر وجه الرشيد وقال: إيهاً.

قال عليه السلام: والحدّ الثاني سمرقند، فاربدّ وجهه.

قال عليه السلام: والحدّ الثالث أفريقية، فاسودّ وجهه وقال: هيه.

قال عليه السلام: والرابع سيف البحر ممّا يلي الجزر وأرمينية.

قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء، فتحوّل إلى مجلسي.

قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: قد أعلمتك أنّني إن حددتها لم تردّها. فعند ذلك عزم على قتله .

وهكذا فقد كان اعتقال الإمام عليه السلام سنة ١٧٩هـ في شهر شوال، وبقي يتنقّل في السجون يلاقي أنواع التضييق والتنكيل إلى أن عمد الرشيد إلى رُطبٍ فوضع فيه سمّاً فاتكاً وأمر السنديّ أن يقدّمه إلى الإمام عليه السلام ويحتّم عليه أن يتناول منه ففعل ومضى شهيداً سنة١٨٣هـ.

خلاصة الدرس

- طارد العباسيون ذريّة الإمام عليه السلام وأتباعهم، ولاحقوهم على امتداد العالم الإسلامي.
- أحصي الكثير من الشهداء، الذين قتلوا ابتداء من تسلّم السفاح السلطة حتى شهادة الإمام الكاظم عليه السلام، وكان أشهرهم الشهيد محمد بن عبد الله بن الحسن، والشهيد الحسين بن علي بن الحسن شهيد الفخ.
- انتشر في هذه المرحلة الفسق وشرب الخمر والمجون...
- رسم الإمام الكاظم عليه السلام عمله السياسي ضمن الأمور التالية:

١. بيان حق الإمام عليه السلام بالخلافة.
٢. النفوذ إلى السلطة والتأثير من داخلها.
٣. مواجهة السلطة وفضح ظلمها.

- أسباب سجن هارون للإمام عليه السلام:

١. حقد هارون على كل شخصية بارزة.
٢. بغضه للعلويين.
٣. الوشاية بالإمام من قبل بعض المتزلفين.

أسئلة الدرس

١. ***ما هي الطريقة التي انتهجها الإمام عليه السلام في المواجهة؟***

....

....

٢. ***ما هو الهدف الذي توخّاه الإمام عليه السلام من وجود أمثال علي بن يقطين في السلطة؟***

....

....

٣. ***ما هي أهم الأسباب التي دعت هارون لسجن الإمام عليه السلام؟***

....

....

٤. ***ضع علامة صحّ أو خطأ في المكان المناسب:***

أ. كُنّي الإمام الكاظم بـ «أبي إبراهيم» و«أبي الحسن الأول» (   )

ب. موضع قبره الشريف في الكاظمية (   )

ج. ثار بعضهم بوجه العباسيين في فترة حياة الإمام عليه السلام (   )

د. السفاح أحد الخلفاء العباسيين الذين عاصرهم الإمام الكاظم عليه السلام (   )

هـ. النفس الزكية هو محمد بن عبد الله بن الحسن (   )

للمطالعة

خُلّص الشيعة يعرفون الإمام عليه السلام

رغم حالة التكتّم وشدّة التقيّة في ظروف البطش والتنكيل العبّاسيّ، فإنّ خاصّة الشيعة كانوا يعرفون الإمام عليه السلام من علامات وأمارات شاهدوها في آبائه عليهم السلام ، بل وفسّروا أيضاً المغزى من وصيّة الصادق عليه السلام لخمسة أشخاص أو لثلاثة كما في بعض الروايات، هذا فضلاً عن أنّهم يسألون ويمتحنون ولا يسلّمون أو يقطعون إلّا بعد التحرّي والبحث الشديدين.

ففي حديث أبي جعفر النيسابوريّ، قال: وسرت إلى المدينة، وجعلت رحلي في بعض الخانات، وقصدت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وزرته وصلّيت، ثمّ خرجت وسألت أهل المدينة: إلى من أوصى جعفر بن محمّد؟ فقالوا: إلى ابنه الأفطح عبد الله. فقلت: هل يفتي؟ قالوا: نعم. فقصدته وجئت إلى باب داره، فوجدت عليها من الغلمان ما لم يوجد على باب دار أمير البلد، فأنكرت، ثمّ قلت: الإمام لا يقال له: لمَ وكيف؟ فاستأذنت، فدخل الغلام وخرج، وقال: من أين أنت؟ فأنكرت وقلت: والله ما هذا بصاحبي، ثمّ قلت: لعلّه من التقيّة. فقلت: قل: فلان الخراسانيّ. فدخل وأذن لي، فدخلت فإذا به جالس في الدست على منصّة عظيمة، وبين يديه غلمان قيام، فقلت في نفسي: ذا أعظم، الإمام يقعد في الدست؟! ثمّ قلت: هذا أيضاً من الفضول الذي لا يُحتاج إليه، يفعل الإمام ما يشاء، فسلّمت عليه، فأدناني وصافحني وأجلسني بالقرب منه، وسألني فأحفى .

ثمّ قال: في أيّ شيء جئت؟ قلت: في مسائل أسأل عنها، وأريد الحجّ. فقال لي: اسأل عمّا تريد. فقلت: كم في المائتين من الزكاة؟ قال: خمسة دراهم. قلت: كم في المائة؟ قال: درهمان ونصف. فقلت: حسن يا مولاي، أعيذك بالله، ما تقول في رجل قال لامرأته: أنت طالق عدد نجوم السماء؟ قال: يكفيه من رأس الجوزاء ثلاثة. فقلت: الرجل لا يحسن شيئاً، فقمت وقلت: أنا أعود إلى سيّدنا غداً. فقال: إن كان لك حاجة فإنا لا نقصّر . وهذا الحديث يدلّ على تشخيص خلّص أصحاب الأئمّة للإمام عليه السلام ودقّة تحرّيهم في هذا الأمر الخطير. وقد عرفوا المغزى الحقيقيّ وراء وصيّة الإمام الصادق عليه السلام لغير واحد بعده، والإمام عليه السلام لا يوصي إلّا إلى واحد، فقد روى داود بن كثير الرقّيّ قال: أتى أعرابيّ إلى أبي حمزة (وكان جالساً في لمّة من أصحابه) ، فسأله خبراً، فقال: توفّي جعفر الصادق عليه السلام،

فشهـق شهقة وأغمي عليـه، فلمّا أفاق قال: هل أوصى إلى أحد؟ قال: نعـم، أوصى إلى ابنه عبد الله وموسـى وأبي جعفر المنصور، فضحك أبو حمزة وقال: الحمد للّه الّذي هدانا ولم يضلّنا، بيّن لنا عن الكبير، ودلّنا على الصغير، وأخفى عن أمر عظيم، فسئل عن قوله فقال: بيّن عيوب الكبير، ودلّ على الصغـير بأن أدخل يـده مع الكبير، وستر الأمر الخطير بالمنصور، لأنه لـو سأل المنصور عن الوصيّ لقيل: أنت .

١٦

الدرس السادس عشر

الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ١

الدرس السادس عشر

الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ١

أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى الظروف المحيطة بعصر الإمام الرضا عليه السلام.

٢. أن يتبيّن الأهداف الحقيقيّة لولاية العهد.

٣. أن يستذكر كيفيّة مواجهة الإمام عليه السلام لمكيدة ولاية العهد.

الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في سطور

الولادة: ولد في الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة (١٤٨هـ) في المدينة المنوّرة.

الشهادة: استشهد بالسمّ في شهر صفر، سنة ثلاث ومائتين من يوم الجمعة، وهو يومئذٍ ابن خمس وخمسين سنة، ودفن في دار حميد بن قحطبة في بقعة هارون الرشيد في قرية يقال لها سناباد.

ألقابه: الرضا، الصابر، الفاضل، الرضيّ، الوفيّ، قرّة أعين المؤمنين، غيظ الملحدين.

كنيته: أبو الحسن الثاني.

مدفنه: طوس.

تمهيد

عاصر الإمام الرضا عليه السلام خلال فترة إمامته المباركة الّتي استمرّت عشرين سنة عدداً من خلفاء بني العبّاس وهم هارون الرشيد لمدّة عشر سنوات (١٨٣ ـ ١٩٣هـ) ومن بعده ولداه الأمين والمأمون.

الإمام عليه السلام في عصر هارون الرشيد

بعد استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام سنة ١٨٣هـ وتسلّم الإمام الرّضا عليه السلام الإمامة عانى الكثير من ظلم هارون، ولكن لم يظهر منه أيّ تصدٍّ علنيّ لمنصب الإمامة، ولم يسجّل له أيّ حضور في المجالس والمحافل العامّة، وذلك لأسباب متعدّدة منها الوصيّة الّتي ركّز فيها الإمام الكاظم عليه السلام على أنّ إظهار ابنه الإمام عليه السلام للإمامة سيكون بعد أربع سنوات من استشهاده أي سنة ١٧٨هـ. وذلك لإدراك الإمام الظروف القاسية التي ستمرّ بها الأمّة في ذلك الوقت.

وبالفعل في سنة ١٨٧هـ تصدّى الإمام لمنصب الإمامة علناً، ولذلك قال له محمّد بن سنان: لقد شهرت بهذا الأمر - الإمامة - وجلست في مكان أبيك بينما سيف هارون يقطر دماً. فقال الإمام عليه السلام: «إنّ الّذي جرّأني على هذا الفعل قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: لو استطاع أبو جهل أن ينقص شعرة من رأسي فاشهدوا بأنّي لست نبيّاً وأنا أقول: لو استطاع هارون أن ينقص شعرة من رأسي فاشهدوا بأنّي لست إماماً».

وبالفعل توفّي هارون سنة ١٩٣هـ. ودُفن في مدينة طوس.

الإمام عليه السلام في عصر الأمين

إنّ شخصيّة الأمين كما تصفها بعض الكتب كانت شخصيّة مستهترة، يقول بعض الكُتّاب «قد كان قبيح السيرة ضعيف الرأي، سفّاكاً للدماء يركب هواه، ويهمل أمره، ويتّكل في جليلات الأمور على غيره».

وقد احتدم الصراع بين الأمين والمأمون والّذي أدّى في نهاية المطاف إلى الإطاحة بحكم الأمين وقتله. وقد استثمر الإمام عليه السلام هذه الأوضاع، وصبّ جهوده على بناء الجماعة الصالحة ونشر المفاهيم الإسلاميّة الصحيحة في المجتمع الّذي عانى الكثير من المجون والفساد والانحراف الفكريّ.

الإمام عليه السلام في عصر المأمون

المأمون رجل ذكيّ، وهذا ما يمكن أن نفهمه من إسناد ولاية العهد إلى الإمام عليه السلام. وحقّاً يجب القول إنّ سياسة المأمون كانت تتمتّع بتجربة وعمق لا نظير له، لكن الطرف الآخر الّذي كان في ساحة الصراع كان الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام وهو نفسه الّذي كان يحوّل أعمال المأمون وخططه الذكيّة والممزوجة بالشيطنة إلى أعمال بدون فائدة ولا تأثير لها، وإلى حركات صبيانيّة كما سنرى في الكلام عن ولاية العهد. وهناك عدّة شواهد على هذه الشيطنة، ففي عصره كان يتمّ ترويج العلم والمعرفة بحسب الظاهر، وكان العلماء يُدعَون إلى مركز الخلافة، ويبذل المأمون الهبات والمشجّعات للباحثين، وذلك لإعداد الأرضيّة لانجذابهم نحوه، وعلاوة على هذا فقد حاول جذب الشيعة وأتباع الإمام عليه السلام إليه من خلال القيام ببعض الأعمال، فمثلاً كان يتحدّث عن عدّة أمور منها:

أ. أنّ الإمام علياً عليه السلام أكثر أهليّة وأولى بالخلافة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

ب. جعل لعن معاوية وسبّه أمراً رسميّاً.

جـ. أعاد للعلويّين ما غُصب من حقّ السيّدة الزهراء عليها السلام في فدك.

وبالنتيجة كان يبذل قصارى جهده لإرضاء الناس حتّى يستطيع بسهولة الاستقرار على مركب الخلافة.

ولاية العهد: أهدافها، أسبابها ونتائجها

بعد مقتل الأمين تسلّم المأمون الخلافة سنة ١٩٨هـ، وأسند ولاية العهد إلى الإمام عليه السلام سنة ٢٠١ للهجرة، وكان وراء هذا العمل عدّة أهداف منها:

١. التهدئة للأوضاع الداخليّة

بعد تسلّم المأمون الخلافة بسنة واحدة أي ١٩٩هـ، اندلعت ثورات عظيمة وحركات تمرّد واسعة قادها العلويّون، حيث خرج أبو السرايا السريّ بن منصور الشيبانيّ بالعراق ومعه محمّد بن إبراهيم بن إسماعيل الحسنيّ، فضرب الدارهم بالكوفة بغير سكّة العبّاسيين، وسيّر جيوشه إلى البصرة. وقد توزّعت الثورة على عدّة جبهات:

أ. جبهة البصرة بقيادة العبّاس بن محمّد بن عيسى الجعفريّ.

ب. وجبهة مكّة بقيادة الحسين بن الحسن الأفطس.

جـ. وجبهة اليمن بقيادة إبراهيم بن موسى بن جعفر عليه السلام.

د. وجبهة فارس بقيادة إسماعيل بن موسى بن جعفر عليه السلام.

هـ. وجبهة الأهواز بقيادة زيد بن موسى.

و. وجبهة المدائن بقيادة محمّد بن سليمان .

ولذلك كان الهدف الأوّل من دعوة الإمام عليه السلام إلى خراسان تحويل ساحة المواجهة العنيفة والملتهبة إلى ساحة مواجهة سياسيّة هادئة.

٢. سلب القداسة والمظلومية عن الثورة

الشيعة لم يكونوا يعرفون التعب أو الملل في المواجهة ولم تكن ثورتهم لتقف عند حدّ. وهذه المواجهات كان لها خاصّيّتان:

الأوّلى: المظلوميّة.

الثانية: القداسة .

المظلوميّة: الّتي كانت تتمثّل بانتزاع الخلافة والاضطهاد والقتل الّذي تعرّض له أئمّة أهل البيت عليهم السلام من عهد مولانا الإمام عليّ عليه السلام إلى عهد مولانا الرضا عليه السلام وما بعده.

أمّا القداسة: فهي الّتي يمثّلها الإمام المعصوم من خلال ابتعاده عن أجهزة الحكم، وقيادة الناس وفقاً لمنهج الإسلام المحمديّ الأصيل.

إنّ المأمون العباسيّ حاول من خلال ولاية العهد أن يسلب هذه القداسة والمظلوميّة اللّتَين تشكّلان عامل النفوذ الثوريّ في المجتمع الإسلاميّ، لأنّ الإمام عندما يصبح وليّ عهد سينضمّ، حسب تصوّر المأمون، إلى أجهزة الحكم وينفذ أوامر الملك في التصرّف بالبلاد إذاً فهو لم يعد لا مظلوماً ولا مقدّساً.

٣. إضفاء المشروعيّة على الخلافة العباسيّة

إنَّ مبايعة الإمام عليه السلام للمأمون تعني حصول المأمون على اعتراف من العلويّين، على أعلى مستوى، بشرعيّة الخلافة العباسيّة. وقد صرّح هو بذلك: «فأردنا أن نجعله وليّ عهدنا، ليكون دعاؤه لنا، وليعترف بالملك والخلافة لنا» .

لأنّ هذه البيعة تعني بالنسبة إلى المأمون: أنّ الإمام يكون قد أقرّ بأنّ الخلافة ليست له دون غيره، ولا في العلويّين دون غيرهم. ولذلك إنّ حصول المأمون على هذا الاعتراف ومن الإمام عليه السلام خاصّة، يُعتبر أخطر على العلويّين من الأسلوب الّذي انتهجه أسلافه من أمويّين وعباسيّين ضدّهم، من قتلهم وتشريدهم، وسلب أموالهم .

وهناك أهداف كثيرة ذُكرت في الكتب للبيعة كأن يكسب المأمون سمعة معنويّة وصيتاً بالوقار والتقوى، وأن يتحوّل الإمام إلى حامٍ ومرشد للنظام، إلى غير ذلك من الأهداف الّتي سنذكر بعضها. ولكنّ السؤال المهمّ هو ما هي الإجراءات التي قام بها الإمام عليه السلام في سبيل مواجهة هذه الخطوة السياسيّة الدقيقة؟

ولكن قبل الإجابة عن هذا السؤال لا بدّ لنا من معرفة الأسباب لقبول هذه البيعة، وإن كانت هناك أسباب متعدّدة ولكنّنا نقتصر على أهمّ سبب في هذا المجال وهذا ما سيتم الكلام فيه في الدرس القادم إن شاء الله.

١٧

الدرس السابع عشر

الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ٢

الدرس السابع عشر

الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ٢

ولكـن قبـل الإجابة عن هذا السؤال لا بدّ لنا من معرفة الأسبـاب لقبول هذه البيعة، وإن كانت هناك أسباب متعدّدة ولكنّنا نقتصر على أهمّ سبب في هذا المجال وهو:

الإكراه على البيعة

أوّل أمر قام به الإمام أنّه رفض البيعة بولاية العهد.

وانتشـر هـذا الرفض في كلّ مكان حتّـى إنّ الفضل بن سهل صرّح في جمع مـن العاملين بهذا الأمر. وبيّن الإمام في كلّ فرصة أُتيحت له أنّه مجبر على القيام بهذا الأمر. وهذا يُعتبر أيضاً إجراء من قبل الإمـام في مواجهـة ولاية العهد من قبل المأمون. قال الريّان بن الصلـت: «دخلت على عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، فقلت له: يا بن رسول الله الناس يقولون: إنّك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا، فقال عليه السلام: «قد علم الله كراهتي لذلك، فلمّا خُيّرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل، ويحهم أما علموا أنّ يوسف عليه السلام كان نبيّاً ورسولاً فلمّا دفعته الضرورة إلى تولّي خزائن العزيـز (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)؟ ودفعتني الضرورة إلى قبول ذلك على إكـراه وإجبـار بعد الإشـراف على الهلاك على أنّي ما دخلت في هذا الأمـر إلّا دخول خارج منه فإلى الله المشتكى وهو المستعان».

طبعـاً هـذا لا يعنـي أنّ الإمام عليه السلام لأنّه هُـدّد بالقتل قبِل بولايـة العهد من دون النظـر إلى النتائج المترتّبة على ذلك. ومن النصوص الّتي يظهر فيها التهديد للإمام عليه السلام هو قول المأمون له: «إنّ عمر بـن الخطّاب جعل الشورى في ستّة أحدهم جدّك أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وشرط فيمن خالف منهم أن يُضرب عنقه ولا بدّ من قبولك ما أريده منك فإنني لا أجد محيصاً عنه».

وأمّا الإجراءات الّتي قام بها الإمام عليه السلام فهي متعدّدة منها:

١. إعلان التهديد:

وهـذا الإجراء تقدّم الكلام عنه، وقد ساعد أعوان السلطة لعـدم تدبيرهم ودرايتهم بالسياسة على نشر هذا الخبر.

٢. عدم التدخّل في الشؤون السياسيّة:

رغـم كلّ التهديدات الّتي مورست على الإمام عليه السلام قَبِلَ ولاية العهد بشرط الموافقة على عدم تدخّله في أيّ شأن من شؤون الحكومة من حرب أو سلم، ومن عزل أو نصب الخ...

فقـد رد عليه السلام عندمـا هـدّده المأمون: «فإنّي أجيبك إلى ما تريد من ولايـة العهد على أنّني لا آمر ولا أنهى ولا أفتي ولا أقضي ولا أولّي ولا أعزل ولا أغيّر شيئاً ممّا هو قائم، فأجابه المأمون إلى ذلك كلّه» .

إلى غيرهـا مـن الإجراءات التي قام بها الإمام الرضـا عليه السلام في مواجهة هذه السياسة الّتي قام بها المأمون والّتي لا يستوعبها هذا البحث.

نتائج ولاية العهد:

يقـول الإمـام الخامنئيّ في هذا المجـال: «إنّ السنة التـي تسلّم فيها الإمام عليه السلام ولايـة العهد كانت واحـدة من أعظـم البركات التاريخية على التشيّـع حتّى إنّها نفخت روحاً جديـدة في نضال العلويّين وكفاحهم، وهذا كان من بركات التدبير الإلهيّ للإمام الثامن عليه السلام وأسلوبه الحكيم» .

لذلك سنشير إلى بعض من نتائج ولاية العهد:

١. اعتراف المأمون بأحقيّة أهل البيت عليهم السلام

ويكفي للتدليل على هذه الفكرة أن نطّلع على بعض الكلمات التي صدرت عن الإمام عليه السلام في مراسم التعيـين. فعندمـا طلب المأمون منه أن يخطب أمـام الناس خطب موضّحاً حقّه: «أيّهـا النـاس إنّ لنا عليكـم حقّـاً برسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكم علينا حقّاً بـه، فإذا أدّيتـم إلينا ذلك وجب لكـم علينا الحكم والسلام» .

ثـم خطـب المأمون فقـال: «أيّها النـاس جاءتكم بيعـة عليّ بن موسى بن جعفر بـن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام والله لو قرأت هذه الأسماء على الصمّ البكم لبرئوا بإذن الله عزّ وجلّ» .

٢. توظيف الإعلام لصالح الإمام عليه السلام

وقد تمّ ذلك من خلال عدّة خطوات:

١. أصبح أئمّة الجمعة يدعون للإمام الرضا عليه السلام في كلّ جمعة وعند كلّ مناسبة.

٢. ضربت النقود باسم الإمام الرضا عليه السلام في جميع الأمصار.

٣. كثرت الخطب والأشعار المادحة للإمام وأهل البيت عليهم السلام.

حتى إنّ المأمون نفسه قال:

لا تُقبل التوبة من تائب	إلّا بحبِّ ابن أبي طالب
أخي رسول الله حلف الهدى	والأخ فوق الخِلّ والصاحب

٣. حريّة الإمام عليه السلام في المناظرة

ويكفي أن نعرف أنّ مناظرات الإمام كثيرة جدّاً مع كلّ المذاهب والأديان حتّى لُقّب عليه السلام بـ «غيظ الملحدين».

فقد جمع المأمون للإمام عليه السلام الجاثليق وهو رئيس الأساقفة، ورأس الجالوت عالم اليهود، ورؤساء الصابئين، وعظماء الهنود من أبناء المجوس، وأصحاب زرادشت، وعلماء الروم، والمتكلّمين، فناظرهم بأجمعهم في مناظرات مشهورة، وغلب عليهم بالحجة البينة والبراهين التامة، وأذعنوا لتمام فضله في العلم.

٤. نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام ومقاماتهم

فقد نشر الإمام عليه السلام فضائل الإمام عليّ عليه السلام وكراماته، ويكفي أن نعرف أنّ نفس المأمون في سنة ٢١١ قد أمر أن ينادى: «برئت الذمّة ممّن يذكر معاوية بخير، وإنّ أفضل الخلائق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّ بن أبي طالب» .

٥. حقن دماء المسلمين

من مكتسبات هذه الولاية حقن الدماء، فقد أصدر المأمون العفو العامّ عن قادة الثورات: كزيد وإبراهيم أخي الإمام عليه السلام، ومحمّد بن جعفر.

خلاصة الدرس

- بعد استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام تسلم الإمام الرضا عليه السلام الإمامة. وقد عانى الكثير من ظلم هارون ولكن لم يظهر أيّ تصدٍّ علني لمنصب الإمامة.
- عاصر الإمام عليه السلام عدداً من خلفاء بني العبّاس وهم هارون، والأمين، والمأمون.
- في عهد المأمون تسلّم الإمام عليه السلام ولاية العهد.
- كانت هناك عدّة أهداف وراء ولاية العهد منها: التهدئة للأوضاع الداخليّة، سلب القداسة والمظلوميّة عن الثورات، إضفاء المشروعيّة على الخلافة العباسيّة.
- إنّ الإمام عليه السلام كان مكرهاً على البيعة، وعند عرضها عليه وقبوله بها قام بعدّة إجراءات منها إعلان أنّه قبل ذلك تحت التهديد، وعدم تدخّله في الشؤون السياسيّة.
- هناك عدّة نتائج مترتّبة على ولاية العهد، منها:

١. اعتراف المأمون بأحقيّة أهل البيت عليهم السلام.

٢. توظيف الإعلام لصالح الإمام عليه السلام.

٣. حرّية الإمام في المناظرة.

٤. حقن دماء المسلمين.

أسئلة الدرس

١. ***كيف تصف العصر الّذي عاش فيه الإمام عليه السلام مع خلفاء بني العبّاس؟***

....

....

....

٢. ***ما هي الأسباب الّتي دفعت المأمون إلى عرض ولاية العهد على الإمام عليه السلام؟***

....

....

....

٣. ***ما هو الدليل على أنّ الإمام عليه السلام كان مكرهاً على بيعة المأمون؟***

....

....

....

٤. ***ضع علامة صحّ أو خطأ في المكان المناسب:***

أ. موضع قبر الإمام الرضا عليه السلام في طوس. (   )

ب. قبول الإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد يعني الاعتراف منه بشرعية خلافة المأمون. (   )

ج. اندلعت بعد تسلم المأمون الحكم عدة ثورات. (   )

د. أبدى الإمام الرضا عليه السلام في بادئ الأمر رفضه لولاية العهد. (   )

هـ. ضربت النقود باسم الإمام الرضا عليه السلام بعد توليه ولاية العهد. (   )

للمطالعة

أخلاق الإمام الرضا عليه السلام

عـن إبراهيم بن العبّاس أنّه قال: ما رأيـت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا، وشاهدت منه ما لم أشاهده من أحد، وما رأيته جفا أحداً بكلامه قطّ، ولا رأيته قطع على أحد كلامه حتى يفرغ منه، وما ردّ أحداً عن حاجة يقدر عليها، ولا مد رجليه بين يدي جليس له قطّ، ولا اتّكأ بين يدي جليس لـه قـطّ، ولا رأيته يشتم أحـداً من مواليه ومماليكه، ومـا رأيته تفل قطّ، ولا رأيتـه يقهقه في ضحكه بـل كان ضحكـه التبسُّـم، وكان إذا خلا ونصبت مائدتـه أجلس على مائدته مماليكـه ومواليه حتى البواب والسائس، وكان قليل النوم بالليل، كثير السهر، يحيي أكثر لياليه من أوّلها إلى الصبح، وكان كثـير الصوم، ولا يفوتـه صيام ثلاثة أيام في الشهر، ويقول: «ذلك صـوم الدهر» وكان كثير المعروف والصدقـة في السـرّ، وأكثر ذلك يكون منـه في الليالي المظلمة، فمن زعم أنـه رأى مثله في فضله فلا تصدّقوه.

وعن محمد بن أبي عباد قال: كان جلوس الرضا عليه السلام على حصير في الصيف وعلى مسح في الشتاء، ولبسه الغليظ من الثياب حتى إذا برز للناس تزين لهم.

وعن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي قال: ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا عليه السلام، ولا رآه عالم إلا شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجالس له ذوات عدد علماء الأديان وفقهاء الشريعـة والمتكلمـين فغلبهم عن آخرهم حتى مـا بقي أحد منهم إلّا أقرّ له بالفضـل وأقرّ على نفسه بالقصـور. ولقد سمعت عليّ بـن موسى الرضا عليه السلام يقول: «كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا أعيا الواحد منهم من مسألة أشاروا إليّ بأجمعهم وبعثوا إليّ بالمسائل فأجيب عنها».

١٨

الدرس الثامن عشر

الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام

الدرس الثامن عشر

الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام

أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن الطالب أنّ السنّ ليست بعائقٍ أمام الخلافة الإلهيّة.

٢. أن يتعرّف إلى خطّة المأمون الهادفة للقضاء على عقيدة التشيّع.

٣. أن يستذكر كيفيّة مواجهة الإمام عليه السلام لمكائد المأمون.

الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام في سطور

الولادة: ولد في التاسع عشر أو الخامس عشر من شهر رمضان سنة (١٩٥هـ) في المدينة المنوّرة.

الشهادة: استشهد في آخر ذي القعدة سنة (٢٢٠ هـ) بوساطة زوجته أمّ الفضل بنت المأمون التي سمّته بعد تحريض عمّها المعتصم.

ألقابه: التقيّ، الجواد، المختار، المنتجب، المرتضى، القانع، العالم.

كنيته: أبو جعفر الثاني تمييزاً من جدّه محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام.

مدفنه: بغداد في مقابر قريش في ظهر جدّه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

تمهيد

كان الشيعة ينتظرون بفارغ الصبر ولادة الإمام الجواد من أبيه الإمام الرضا عليه السلام، وذلك لعلمهم بهذا الأمر. ولكنّ الإمام الرضا عليه السلام كان قد مرّ على عمره الشريف أكثر من أربعين سنة ولم يرزق ولداً بعد، وعندما كان يُسأل عن ذلك كان يجيب: «إنّ الله سوف يرزقني ولداً يكون الوارث لي والإمام من بعدي» .

وأخيراً ولد الإمام سنة (١٩٥هـ). وقال الإمام الرضا عليه السلام عند ولادته: «قد وُلد لي شبيه موسى بن عمران فالق البحار وشبيه عيسى ابن مريم، قدّست أم ولدته، قد خُلقت طاهرة مطهّرة».

ثمّ قال عليه السلام: «يُقتل غصباً فيبكي له وعليه أهل السماء ويغضب الله على عدوّه وظالمه فلا يلبث إلّا يسيراً حتّى يعجل الله به إلى عذابه» .

وولادة الإمام عليه السلام أزالت القلق من قلوب الشيعة حيث كان يحزنهم أن لا يكون للإمام الرضا عليه السلام خليفة.

ولكنّ المسألة الجديرة بالاهتمام هي تولّي الإمام عليه السلام منصب الإمامة في سنّ السابعة أو الثامنة من عمره الشريف ما شكلّ سابقة في الفكر الإماميّ. ولكنّ هذا الأمر ليس بغريب في حياة الأولياء الّتي فيها الكثير من المعجزات والكرامات التي اخترقت نواميس الطبيعة.

إنّ الزمان الّذي عايشه الإمام الجواد عليه السلام تميّز بوجود شخصيّة متميّزة على سدّة الحكم ذات دهاء وعلم واسع وأسلوب في العمل تميّزت بها من غيرها من الشخصيّات الّتي توالت على الحكم وتصدّت لمواجهة الأئمّة عليهم السلام هي المأمون الذي شهد له التاريخ بأنّه أدهى بني العبّاس كما كان معاوية أدهى بني أميّة.

فإنّ الذين سبقوا المأمون في الحكم كانوا يواجهون الأئمّة عليهم السلام وأتباعهم بشكل مباشر وبالحديد والنار، وقد رأى بعينه كيف كان أبوه هارون الرشيد يتعامل مع الشيعة بكلّ قسوة، لكنّه علم أنّ هذا الأسلوب من التعامل مع الشيعة وأئمّتهم لن يزيدهم إلّا قوّة وتمسّكاً بخطّهم، بل إنّه سيزلزل حكم بني العبّاس أيضاً كما زلزل من قبلهم حكم بني أميّة واقتلعه من جذوره.

خطّة المأمون

لقد اتّبع المأمون سياسة أخرى مع الشيعة تتركّز على محاولة تضعيف الفكر الشيعيّ والطعن به من الداخل بشكل يحدث زلزالاً في وجدانهم وعقائدهم فيقضي عليهم بشكل لا تقوم لهم قائمة بعده. وقد لاحظ أنّ الإمامة هي الحصن الأساس لهذا الفكر.

من هنا كان سعيه بهذا الاتّجاه من جهات عدّة:

١. محاولة تحطيم عقيدة الشيعة بعصمة الإمام عليه السلام من خلال استدعائه إلى دار الخلافة ليعيش في بذخ القصور بشكل يُسقط مفهوم العصمة.

٢. محاولة تحطيم عقيدتهم بعلم الإمام عليه السلام من خلال تشكيل المناظرات مع أبرز العلماء الذين تصل يده إليهم بحضور رؤساء القوم وأشرافهم، علّه يحصل اشتباه أو توقّف فيحصل مراد المأمون.

٣. إذا لم ينجح في تحطيم فكرة الإمامة فهو على الأقلّ سيضمن الإمام إلى جانبه كشخص تابعٍ للسلطان فيتحوّل الشيعة من معارضين إلى أتباع لسلطان بني العبّاس وحكمهم.

بالإضافة إلى أنّ عمل الشيعة بالتقيّة والخفاء يشكّل مشكلة حقيقيّة بالنسبة إلى الدولة، وقرب الإمام من المأمون ووقوعه تحت نظره في جميع الأوقات يسمح للمأمون برصد جميع تحرّكات الإمام عليه السلام واتّصالاته وبالتالي كشف وجهاء الشيعة.

وقد واجه المأمون الإمام الرضا عليه السلام بهذا الأسلوب وبهذه السياسة ولكنّ سياسته باءت بالفشل الذريع ولم يستطع أن يسجّل موقفاً واحداً على الإمام يستطيع أن يستفيد منه في خطّته هذه إلى أن فقد الأمل ووجد أنّ الدّفة تميل لغير صالحه وأنّ الإمام الرضا عليه السلام وبسبب هذه المناظرات والمواقف وجد شهرة في البلاد وحبّاً شديداً بين العباد، وشيعته تزداد يوماً بعد يوم، فلم يبقَ أمامه إلا حلّ واحد وهو دسّ السّم والتخلّص من وجوده الشريف المبارك.

وفي هذه الظروف والأجواء انتقلت المواجهة إلى الإمام الجواد عليه السلام وكان له من العمر ما يقارب الثماني السنوات، وعندها وجد المأمون نفسه أمام إنسان في عمرٍ صغير، فتجدّد أمله بتحقيق مخطّطه وعبر أسلوبه القديم، فإنّ الذي يواجهه الآن ليس الإمام الرضا عليه السلام بل هو صبيّ لم يبلغ الحلم، ومن كان في عمره عادة لن يستطيع أن يناظر كبار العلماء أو يصمد أمام مغريات السلطان ودار الخلافة بكلّ ما فيها.

من هنا نراه يستدعي الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد.

مواجهة الإمام الجواد عليه السلام

لقد واجه الإمام الجواد عليه السلام هذه السياسة من اللحظة الأولى التي وطئت قدماه فيها بغداد، وأسقطها تباعاً:

<u>١. على المستوى العلميّ:</u> هيّأ المأمون للمناظرات بين الإمام عليه السلام وبين قاضي الزمان يحيى بن أكثم بحضور جمع من الأشراف ورؤساء القوم، وقد صرّح المأمون بغرضه من تلك المناظرات حيث قال ليحيى: «اطرح على أبي جعفر محمّد ابن الرضا عليه السلام مسألة تقطعه فيها». ولكنّ المناظرات كانت دائماً تسير لصالح الإمام عليه السلام وكان يتوقّف خصمه ويدهش لشدّة ما يراه من إحاطة وسعة في علم الإمام عليه السلام.

ومن هذه المناظرات: قال يحيى: ما تقول جعلت فداك في محرمٍ قتل صيداً؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: «قتله في حلّ أو حرم؟ عالماً كان المحرم أو جاهلاً؟ قتله عمداً أو خطأً؟ حرّاً كان المحـرم أو عبـداً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ مبتدئاً بالقتـل أو معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد أم من كبارها؟ مصرّاً على ما فعل أو نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد أم بالنهار؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟»

فتحيّر يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع ولجلج حتّى عرف جماعة أهل المجلس أمره.

ثم شرح الإمام عليه السلام بعد ذلك تفصيل هذه المسائل قائلاً:

إنّ المحـرم إذا قتـل صيداً في الحلّ وكان الصيد من ذوات الطـير، وكان من كبارها، فعليه شاة، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، وإذا قتل فرخاً في الحلّ فعليه حَمَل قد فُطم من اللبن، وإذا قتلـه في الحرم فعليه الحمـل وقيمة الفرخ، فإذا كان من الوحش وكان حمـار وحش فعليه بقرة، و إن كان نعامـة فعليه بدنـة، وإن كان ظبياً فعليه شاة، وإن كان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفـاً هدياً بالغ الكعبة. وإذا أصاب المحرم ما يجـب عليه الهدي فيه، وكان إحرامه بالحجّ نحره بمنى، وإن كان إحرامه بالعمرة نحره بمكّة، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء وفي العمد عليه المأثـم وهو موضوع عنـه في الخطأ، والكفّارة على الحرّ في نفسه، وعلـى السيّد في عبده، والصغير لا كفّـارة عليه، وهـي على الكبير واجبـة والنادم يسقط ندمه عنـه عقاب الآخرة، والمصـرّ يجب عليه العقاب في الآخرة .

وكان من آثار هذه المناظرات أن انتشر الفكر الشيعيّ وشاع وبانت قوّته ومتانته وعلوّه، فانقلب السحر على الساحر.

٢. وأمّـا مـن جهة العصمـة : فقد حاول المأمون الطعـن بها وتسجيل ولو خطـأ واحد على الإمام عليه السلام، وبـذل لذلـك كلّ ما أمكنه، فعن محمّد بن الريّان قال: «احتـال المأمون على أبي جعفر عليه السلام بكلّ حيلة فلم يمكنه فيه شيء فلمّا أراد أن يبني عليه ابنته دفع إلى مائة وصيفة من أجمل ما يكنّ إلى كلّ واحـدة منهـنّ جاماً فيها جوهر يستقبلون أبا جعفر عليه السلام إذا قعـد في موضع الختان، فلم يلتفت إليهـنّ، وكان رجل يُقال له مخـارق صاحب صوت وعود وضرب، طويل اللحية فدعاه المأمون فقال: يا أمـير المؤمنـين إن كان في شيء من أمر الدنيـا فأنا أكفيك أمره، فقعد بين يـدي أبي جعفر عليه السلام لا يلتفـت إليـه لا يميناً ولا شمالاً، ثمّ رفع إليه رأسه، وقـال عليه السلام: «اتّقِ الله يا ذا العثنون» قال: فسقط المضراب من يده والعود فلم ينتفع بيده إلى أن مات» .

ورغـم الحقيقة الراسخة في عصمـة الإمام عليه السلام إلا أنّ المأمون كان قادراً على الاستفادة من وجود الإمـام في قصر الخلافة من الجهة الإعلاميّة ليعكسهـا بشكل سلبيّ على الشارع الشيعيّ، وقد واجه الإمـام عليه السلام ذلك أيضاً وأسقطه، فقـد رُوي عن الحسين المكاريّ قال: دخلت على أبي جعفر ببغداد وهـو علـى ما كان من أمـره، فقلت في نفسي: هذا رجل لا يرجع إلى موطنـه أبداً وما أعرف مطعمه، قال: فأطرق رأسه ثمّ رفعه وقد اصفرّ لونه.

فقال عليه السلام: «يا حسين خبز شعير وملح جريش في حرم رسول الله أحبّ إليّ ممّا تراني فيه».

ولم يستطع المأمون أن يحوّل الشيعة إلى المشروع العبّاسيّ ويستفيد منهم كأتباع لهذا المشروع، بل على العكس فقد استفاد الإمام عليه السلام من هذه السياسة في تقوية المشروع الإسلاميّ الأصيل.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [1].

وعلى أيّ حال فإنّ المأمون استمرّ بسياسته هذه يحصد الفشل تلو الآخر إلى أن توفّي وحكم بعده أخوه المعتصـم، فسـار مدّة بسـيرة المأمون، ولكنه سرعان مـا فقد الأمل من تحقيق أهدافـه، وفهم الآثار التـي تحصل بسبب هـذه السياسة التي لم تـزد مشروعه إلّا ضعفـاً ووهناً والشيعـة إلّا علواً ومتانة، وأحسّ بالاحبـاط والفشل فتخلّى عن سياسته هـذه وتوسّل بالحديد والنار شـأن كلّ ضعيف لا يقدر على مواجهة الكلمة والفكر، فدسّ السمّ له واستشهد عليه السلام عن عمر لم يتجاوز الخامسة والعشرين.

خلاصة الدرس

- كان المأمـون أدهـى بني العبّاسـ وكان خطّط لمحاربة الشيعـة والطعن بركنهـم الأساس المتمثّل بالإمامة.
- حاول المأمون تحطيم مفهوم العصمة وعلم الإمام عليه السلام ونقل الشيعة من موقع مواجهة العبّاسيين إلى موقع التابع.
- المناظـرات التي أعدّها المأمون لمواجهة الإمام عليه السلام كانت نتائجها عكسيّة وصارت سبباً في نشر التشيّـع وإظهار قوّتـه. كما وسقطت رهاناته في تسجيل خطأ (ولو علـى المستوى الإعلاميّ) على الإمام عليه السلام بسبب وجوده في قصر الخلافة.
- بعد فشل سياساتهم كلّها لم يبقَ أمام العبّاسيين سوى اغتيال شخص الإمام عليه السلام.
- كان الشيعـة ينتظرون بفارغ الصبر ولادة الإمـام الجواد، وذلك لعلمهم بهذا الأمر، وكان قد مرّ

(١) الصف:٩.

على عمر الإمام الرضا عليه السلام أكثر من أربعين سنة ولم يرزق ولداً.

- تولّى الإمام الجواد الإمامة في سن السابعة أو الثامنة من عمره الشريف.
- إنَّ الزمان الذي عايشه الإمام الجواد عليه السلام تميّز بوجود شخصية متميّزة على سدّة الحكم ذات دهاء وعلم واسع.

أسئلة الدرس

١. ***ما هي الخطّة التي وضعها المأمون للتخلّص من خطر الشيعة؟***

....

....

٢. ***ماذا كانت نتيجة المواجهة العلميّة وآثارها؟***

....

....

٣. ***كيف واجه الإمام عليه السلام مظاهر الفساد والبذخ في قصر الخلافة؟***

....

....

٤. ***ضع علامة صحّ أو خطأ في المكان المناسب:***

أ. الإمام الجواد هو ثامن الأئمة الاثني عشر. (   )

ب. استشهد الإمام الجواد عليه السلام بوساطة زوجته أم الفضل بنت المأمون. (   )

جـ. لم يعاصر الإمام الجواد المأمون العباسي.(   )

د. دفن الإمام الجواد عليه السلام في سامراء. (   )

هـ. كنية الإمام الجواد عليه السلام هي «أبو جعفر الثاني». (   )

للمطالعة

محاورة الإمام مع يحيى بن أكثم

قال يحيى بن أكثم للمأمون: يأذن لي أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر عن مسألة؟

فقال له المأمون: استأذنه في ذلك.

فأقبل عليه يحيى بن أكثم، فقال: أتأذن لي، جعلت فداك، في مسألة؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: سل إن شئت.

قال يحيى: ما تقول، جعلت فداك، في محرم قتل صيداً؟

فقال أبو جعفر عليه السلام:

«قتله في حلّ أو في حرم؟ عالماً كان المحرم أو جاهلاً؟ قتله عمداً أو خطأ؟ حرّاً كان المحرم أو عبداً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ مبتدئاً بالقتل أو معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد أم من كبارها؟ مصرّاً على ما فعل أو نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد أم في النهار؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟»

فتحيّر يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع.

فقال المأمون: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟

فقال أبو جعفر عليه السلام ليحيى: أسألك؟

قال: ذلك إليك، جعلت فداك، فإنْ عرفت جواب ما تسألني وإلا استفدته منك.

فقال أبو جعفر عليه السلام:

أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أوّل النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلمّا ارتفع النهار حلّت له، فلمّا زالت الشمس حرمت عليه، فلمّا كان وقت العصر حلّت له، فلمّا غربت الشمس حرمت عليه، فلمّا دخل وقت العشاء الآخرة حلّت له، فلمّا كان وقت انتصاف الليل حرمت عليه، فلمّا طلع الفجر حلّت له، ما حال هذه المرأة؟ وبماذا حلّت له وحرمت عليه؟

فقال له: لا والله لا أهتدي إلى جواب هذ السؤال ولا أعرف الوجه فيه، فإنْ رأيت أن تفيدنا.

فقــال عليه السلام: «هذه أَمَــة لرجل من الناس، نظر إليهــا أجنبيّ في أوّل النهار فكان نظــره إليها حراماً عليه، فلمّا ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلّت له، فلمّا كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلمّا كان وقــت العصــر تزوّجها فحلّت له، فلمّا كان وقت المغــرب ظاهرَ منها فحرمت عليه، فلمّا كان وقت العشــاء الآخرة كفّر عــن الظهار فحلّت له، فلمّا كان نصف الليل طلّقهــا واحدة، فحرمت عليه، فلمّا كان عند الفجر راجعها فحلّت له» .

١٩

الدرس التاسع عشر

الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام ١

الدرس التاسع عشر

الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام ١

أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن الطالب الحالة العامّة لعصر الإمام الهادي عليه السلام.

٢. أن يستذكر كيفيّة بناء الإمام عليه السلام للمجتمع الصالح.

٣. أن يتعرّف إلى نظام الوكالة.

الإمام عليّ بن محمّد الهادي عليه السلام في سطور

الولادة: ولد في النصف من ذي الحجة سنة (٢١٢هـ) قرب المدينة في موضع يقال له (صريا).

الشهادة: توفّي سنة (٢٥٤هـ) في اليوم الثالث من شهر رجب. استشهد بالسمّ في زمن المعتزّ.

ألقابه: النجيب، المرتضى، الهادي، النقيّ، العالم، الفقيه، الأمين، المؤتمن، الطيّب، المتوكّل، وأشهرها: الهادي، والنقيّ.

كنيته: أبو الحسن الثالث .

مدفنه: سامرّاء.

تمهيد

تسلّم الإمام الهادي عليه السلام الإمامة بعد استشهاد أبيه الإمام الجواد عليه السلام سنة ٢٢٠هـ. وبهذا يكون عمره الشريف حين تصدّيه للإمامة (ثماني سنوات)، ولذلك تعتبر إمامته المصداق الثاني للإمامة المبكّرة في الفكر الشيعيّ؛ فمن الطبيعيّ أن تتكثّف النصوص حول إمامته لتركيزها في أذهان الناس كما حصل من قبل مع الإمام الجواد عليه السلام حيث كان هناك تمهيد طبيعيّ من الإمام الرضا عليه السلام لابنه الإمام الجواد عليه السلام. وإنّ إسناد هذا المنصب الإلهيّ إليه في هذه السن المبكرة جعل الكرامات تظهر على يديه مؤكّدة اتّصال صاحبها بعالم الغيب.

النص على إمامته

ورد عن الإمام الجواد عليه السلام مجموعة نصوص في إمامة ابنه منها: عن إسماعيل بن مهران، قال:

لمّا خرج أبو جعفر عليه السلام من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأولى، قلت له عند خروجه: جعلت فداك، إنّي أخاف عليك من هذا الوجه، فإلى من الأمر بعدك؟ قال: فكرّ بوجهه إليّ ضاحكاً، وقال: ليس حيث ظننت في هذه السنة. فلمّا استُدعي به إلى المعتصم في المرّة الثانية صرت إليه، فقلت له: جعلت فداك، أنت خارج، فإلى من هذا الأمر من بعدك؟ فبكى حتّى اخضلّت لحيته، ثمّ التفت إليّ فقال: «عند هذا يُخاف عليَّ، الأمر من بعدي إلى ابني عليّ».

وفي رواية: سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول: «الإمام بعدي ابني عليّ أمره أمري، وقوله قولي وطاعته طاعتي، والإمام بعده ابنه الحسن أمره أمر أبيه وقوله قول أبيه وطاعته طاعة أبيه».

ثم سكت فقلت: يا بن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن. فبكى عليه السلام بكاءً شديداً ثمّ قال: «إنّ بعد الحسن ابنه القائم بالحقّ المنتظر» إلى آخر الرواية.

إلى غيرها من الروايات التي صدرت للتأكيد على إمامة الإمام الهادي عليه السلام.

قبس من علومه عليه السلام

اعتبر المؤرّخون وأصحاب السير الإمام الهادي عليه السلام علماً بارزاً من أعلام عصره في العلم والمعرفة. وقد ذكر الشيخ الطوسي قدس سره في كتابه المعروف بـ (رجال الطوسي) مائة وخمسة وثمانين تلميذاً وراوياً، أخذوا ورووا عن الإمام الهادي عليه السلام، الذي كان مرجع أهل العلم والفقه والشريعة في عصره. وحفلت كتب الرواية والحديث والفقه والمناظرة والتفسير وأمثالها بما أثر عنه، واستفيد من علومه ومعارفه. وفيما يلي نذكر أسماء بعض تلامذته ورواته وأصحابه: أحمد بن اسحاق بن عبد الله الأشعري. الحسين بن سعيد بن حماد الأهوازي. داود بن أبي يزيد من أهل نيشابور. علي بن مهزيار الأهوازي. الفضل بن شاذان النيشابوري.

كما أن للإمام عليه السلام رسائل في مختلف العلوم والأمور، نورد بعضاً منها: رسالته في الردّ على الجبر والتفويض، وإثبات العدل، والمنزلة بين المنزلتين، أوردها بتمامها الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني في كتابه الموسوم بـ (تحف العقول)، وأجوبته ليحيى بن أكثم عن مسائله، وهذه أيضاً أوردها الحرّاني أيضاً في تحف العقول، وقطعة من أحكام الدين، ذكرها ابن شهر آشوب في المناقب.

ملامح عصر الإمام الهادي:

١. الحالة السياسية العامّة: مارس الإمام الهادي عليه السلام مهامّه القيادية في حكم المعتصم سنة (٢٢٠ هـ)

واستشهد في حكم المعتزّ سنة (٢٥٤ هـ). وخلال هذه السنوات الأربع والثلاثين عاصر ستة من ملوك بني العباس الذين لم يتمتّعوا بلذة الحكم والخلافة كما تمتّع آباؤهم حيث تراوحت فترة خلافة كل منهم بين ستة أشهر وخمسة إلى ثمان سنوات سوى المتوكل الذي دام حكمه خمسة عشر عاماً.

ويعتبر عهد المتوكل العباسي بدء العصر العباسي الثاني وهو عصر نفوذ الأتراك (٢٣٢ ـ ٣٣٤ هـ) واعتبره البعض بدء عصر انحلال الدولة العباسية، الذي انتهى بسقوطها على أيدي التتار سنة (٦٥٦ هـ). وكان لسياسة المتوكل وأسلافه الأثر البالغ في انفصال بعض أمصار الدولة واستقلالها عن السلطة المركزية بالتدريج، حيث نشأت دويلات صغيرة وكيانات متنافسة فيما بينها، كالسامانية والبويهية والحمدانية والغزنوية والسلجوقية بعد هذا العصر.

وكما كان لهذه الدويلات تأثير في تقدّم الحضارة الإسلامية باعتبار انفتاح بعض الأمراء على العلم والعلماء لكنّها أضعفت كيان الدولة العباسية سياسيّاً لأنها قد ساهمت في إيجاد شرخ في وحدة الدولة الإسلامية الكبرى.

وكان المعتصم أوّل الخلفاء العباسيين الذين استعانوا بالأتراك وأسندوا إليهم مناصب الدولة وأقطعوهم الولايات الإسلامية.

وقد انتهج المتوكل سياسة العنف تجاه العلويين وشيعة أهل البيت عليهم السلام فضلاً عن أهل البيت عليهم السلام أنفسهم. وتجلّى ذلك بوضوح في أمره بهدم قبر الإمام الحسين بن علي عليه السلام وما حوله من الدور بل أمر بحرثه وبذره وسقي موضع القبر ومنع الناس من زيارته وتوعّد بالسجن على من زاره. وقد أثار المتوكل بهذه السياسة حفيظة المسلمين بشكل عام، وأهل بغداد بشكل خاصّ. وقد ردّوا على الإهانات التي ألحقها بالعلويين فسبّوه في المساجد والطرقات. وفي زمن المتوكل أصابت مدن العراق مجاعة شديدة وهلك كثير من الناس، وانتهز الروم فرصة ضعف الدولة فاستأنفوا غاراتهم على أراضيها فأغاروا على دمياط وفتكوا بأهلها وأحرقوا دورهم، ثم غزوا فيليفيا جنوبي آسيا الصغرى وهزموا

أهلها هزيمة منكرة . وكان المنتصر يحسن للعلويين مخالفاً بذلك سياسة أبيه، وتجلّت سياسته في إزالة الخوف عنهم والسماح لهم بزيارة قبر الحسين عليه السلام. ولم يدم حكم المنتصر طويلاً فقد تآمر عليه الأتراك وقتلوه عن طريق طبيبه طيفور في سنة (٢٤٨ هـ) .

وبعد مقتل المنتصر تولّى الخلافة المستعين بالله سنة (٢٤٨ هـ) وأرجع عاصمته الى بغداد. غير أن الأتراك لم يأمنوا جانبه، فاتفق باغر التركي مع جماعته على خلع المستعين ونصب المعتز مكانه .

ووقعت بينهما حرب دامت عدّة أشهر انتهت بإبعاد المستعين إلى واسط ثم قتله غيلة .

كما أنّ المعتز لم ينج من أعمال العنف والتعسف التي قام بها قوّاد الدولة العباسية من الأتراك فقتل شرّ قتلة على أيديهم وذلك سنة (٢٥٥ هـ).

وكان اغتيال الإمام الهادي عليه السلام في حكم المعتزّ في سنة (٢٥٤ هـ).

إنّ ضعف شخصيّة الحكّام هو أحد عوامل التفكك والانهيار الذي أصاب الدولة الإسلامية، وقد رافقه نفوذ زوجاتهم وأمهاتهم إلى جانب سيطرة الأتراك الذين اعتمدوا عليهم للتخلّص من نفوذ الإيرانيين والعرب، كما كان لظلم الأمراء والوزراء دوره البالغ في زعزعة ثقة الناس بالحكّام وإثارة الفتن والشغب داخل بلاد المسلمين.

٢. الحالة الثقافية

كان لترجمة الكتب اليونانية والفارسية والهندية إلى العربية أثر كبير في ثقافة هذا العصر، وكانت ظاهرة الترجمة قد ابتدأت منذ أيام المأمون، وقد أسهمت في رفد الثقافة الإسلامية من جهة والانفتاح على الثقافات الأخرى التي قد تتقاطع مع ما أفرزته الحضارة الإسلامية من اتجاهات فكرية وثقافية من جهة أخرى.

كما كان لارتحال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أثر كبير في التبادل والتعاطي الثقافي بين شرق البلاد الإسلامية وغربها وأنتج ذلك نشاطاً ثقافياً متميّزاً وحركة فكرية، أعطت للعلماء والفقهاء دوراً كبيراً وموقعاً مرموقاً عند الخلفاء والحكام حتى عُدّ القرن الرابع الهجري فيما بعد العصر الذهبي للحضارة الإسلامية. وقد حظي الشعراء والأدباء بمكانة رفيعة عند الأمراء ما أدى إلى ازدهار الأدب في هذا العصر.

٣. الحالة الاقتصادية

إن الاضطرابات السياسية والصراع على السلطة وبدء انفصال أجزاء عن الدولة العباسية واستقلالها قد أثّر في تدهور الوضع الاقتصادي. وكان لظهور الطبقية في المجتمع الإسلامي آثار سلبية أدّت الى سرعة الانهيار الاقتصادي فضلاً عن المجاعة وارتفاع الأسعار، ما كان له أثر كبير في اضطراب الأمن وفقدان السيطرة من قبل الدولة. وقد تجلّى ذلك في قصر فترة حكم الخلفاء إلى جانب انتقال إدارة الدولة إلى القواد الأتراك بدل الخلفاء وهو دليل واضح على ضعف شوكتهم وفقدان هيبتهم أمام قوّاد الجيش ووزرائهم وكتّابهم .

٤. العباسيون والإمام الهادي عليه السلام

تدرّجت سياسة الحكّام العباسيين في مناهضة أهل البيت عليهم السلام بعد أن عرفوا موقعهم الديني والاجتماعي المتميّز وأنهم لا يداهنون من أجل الحكم والملك بل إنهم أصحاب مبدأ وعقيدة وقيم، فكانت سياسة السفّاح والمنصور والرشيد تتلخص في الرقابة المشدّدة والتضييق مع فسح المجال للتحرك المحدود ورافقها خلق البدائل العلمية لئلا ينفرد أهل البيت عليهم السلام بالمرجعية العلمية والدينية في الساحة الاجتماعية فكان الدعم المباشر من الحكّام لأئمة المذاهب وتبنّي بعضها والدعوة إليها في هذا الطريق. ولكن كل هذه الأساليب لم تفلح في التعتيم الإعلامي وتوجيه الأنظار عن أهل البيت عليهم السلام إلى غيرهم فكانت سياسة المأمون هي سياسة الاحتواء التي نفّذها مع الإمام الرضا عليه السلام.

وقد بقي الإمام الهادي عليه السلام تحت رقابة الحكّام العباسيين مدة طويلة تزيد على العشرين عاماً ، وهي فترة طويلة جداً إذا ما قسناها بفترة ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام أو فترة بقاء الإمام الجواد عليه السلام في بغداد في زمن المعتصم. وفي هذا مؤشّر واضح على تغيير العباسيين سياستهم العامة تجاه أئمة أهل البيت عليهم السلام.

٢٠

الدرس العشرون

الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام ٢

الدرس العشرون

الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام ٢

تابع: ملامح عصر الإمام الهادي:

٥. اضطهاد أتباع أهل البيت عليهم السلام

إذا استثنينا سياسة المنتصر التي لم تدم سوى ستة أشهر والتي تمثّلت في اللين مع العلويين وشيعة أهل البيت عليهم السلام فإنّا نجد السياسة العباسية العامة هي مناهضة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، وممارسة سياسة العنف معهم بالرغم من اتّساع رقعة التشيّع بعد تظاهر المأمون باحترامه الخاص للإمام الرضا عليه السلام.

إنّ حرمان أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم من الوضع المعيشي اللائق بهم إنّما كان باعتبار قلقهم من توظيف المال للإطاحة بملكهم. ومن هنا كانت سياسة التقشّف بالنسبة لهم سياسة عامة قد سار عليها عامة ملوك بني العباس، وهم أعرف بالمكانة الاجتماعية لأهل البيت عليهم السلام في قلوب المؤمنين.

وكان الحرمان يمتدّ إلى إخراجهم من الوظائف الحكومية إن عثروا على موالٍ لأهل البيت عليهم السلام كان قد حظي بوظيفة حكومية، بل تعدّى ذلك إلى تحديد أملاكهم وغلمانهم حتى بان الفقر والحرمان على كثير من العلويين في هذ العصر.

٦. انتفاضات العلويين

لقد تمادى المتوكل في إيذاء العلويين ومنعهم حقوقهم التي منحهم الله إيّاها حتى أشرفوا على الهلاك من شدّة الفقر بل تمادى في الجور عليهم حتى قدّم دعوى غير العلوي على دعوى العلوي إذا تحاكما عند القضاة. ولم نجد من العباسيين عامة إلاّ العداء والبغض لأهل البيت عليهم السلام لأسباب شتى، منها: تفرّد أهل البيت عليهم السلام بالنصّ عليهم من قبل جدّهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتفرّدهم بالزعامة الروحية والعلمية، وتأثيرهم على قلوب المسلمين ووجدانهم، والاهتمام بشؤونهم، وإيثارهم للدين على الدنيا، والموت في سبيل الله على الحياة مع الذل والهوان في غير طاعة الله.

إنّ عواطـف المسلمـين وقلوبهم قد اتّجهت نحو أبنـاء الرسول ﷺ وشيعتهم الذيـن يحذون حذوهم، وأخـذت هذه الظاهرة تنمو وتظهر على الساحة الإسلامية، وهذا مما لا يرتاح له الحكّام العباسيون وعملاؤهـم الذين جلسوا على موائدهم التي جسّـدت أفظع أنواع التبذير في بيت مال المسلمين. ومن هنـا لم تخـل الساحـة الإسلامية من الثـورات التي قام بها قـادة علويون على طول الخـط بعد ثورة الحسين عليه السلام.

وقد استمرت هذه الثورات حتى عصر الغيبة وانتهت فيما بعد الى تأسيس دويلات وإمارات يحكمها قـادة علويون أو علمـاء يحملون ثقافة أهل البيـت عليهم السلام ويحاولون تجسيد قيمهـم وسيرتهم في الحياة الإسلامية.

ولم تكـن اغتيـالات الخلفـاء للأئمة مـن أهل البيـت عليهم السلام إلاّ باعتبار دعمهـم لهذه الثـورات المسلّحة وتأييدهـم لهـا من قريب أو من بعيد. وقـد خرج على حكّام هذا العصر مـن العلويين مجموعة تمثّل استمرار الخط الثوري ضد الظلم والظالمين.

متطلّبات عصر الإمام الهادي عليه السلام:

بعـد أن عرفنـا المهمّ مـن ملامح عصر الإمـام الهادي عليه السلام نستطيـع الآن أن نقف علـى متطلّبات عصـره. وسوف نبحث عنها في حقلين: الأوّل: متطلّبات الساحة الإسلامية العامة، والثاني: متطلّبات الجماعـة الصالحة بعد تمهيد عام لكلا الحقلين. وذلـك أنّ الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام قد تـولّى الإمامـة بعد استشهاد أبيه الجـواد عليه السلام سنة (٢٢٠ هـ) وهو لمّا يبلغ الحلـم إذ لم يتعدّ عمره الثامنة ـ على أكبر الفروض ـ فهو قد شابه أباه الجواد عليه السلام في تولّي الإمامة في سنّ مبكّرة.

وقـد كان لتـولّي الإمام الهادي عليه السلام الإمامة في سنّ مبكّرة بعـد استشهاد أبيه الجواد عليه السلام مغزى ديني ودلالات وآثار سياسية واجتماعية عديدة، وإليك جملة منها: أن أهل البيت عليهم السلام قد أضافوا دليلاً حسّيـاً جديـداً بعد الأدلة العقائدية التـي تمثلت في النصوص النبويّة وهو الواقـع العملي الذي جسّد جدارتهم لتولّي شؤون المسلمين وقيادة العالم الإسلامي فكرياً وعمليّاً.

وكان الإمـام الهـادي عليه السلام في كل مراحـل حياتـه التي قضاهـا في مدينة جـدّه أو في سامراء تحت رقابـة شديدة، وقد جرّعوه مـا استطاعوا من الغصص التي كانت تتمثـل في محاولات الاحتواء تارة

والتسقيط العلمي تارة أخرى ثم التحجيم بشتّى أشكاله التي تمثّلت في الاستدعاء والتحقير والرقابة المكثّفة والسجن ومحاولات الاغتيال المتكررة خلال ثلاثة عقود ونصف تقريباً من سنيّ عمره المبارك.

والدلالة الثانية أن الظرف الذي كان يحيط بالإمام الهادي عليه السلام كان ظرفاً انتقالياً من مرحلة الإمامة الظاهرة الى الإمامة الغائبة التي يُراد لها أن تدبّر الأمر من وراء الستار ويراد للأمة أن تنفتح على هذا الإمام وتعتقد به وتتفاعل معه رغم حراجة الظروف.

فهو الظرف الوحيد لإعداد الأمة لاستقبال الظرف الجديد، ولا سيّما إذا عرفنا أن الإمام الهادي هو السابع من تسعة أئمة من أبناء الحسين، والمهدي الموعود هو التاسع منهم، وهو الذي مهّد لولادة حفيده من خلال ما خطّط له من زواج خاص لولده الحسن العسكري دون أي إعلان عن ذلك، فلا توجد إلاّ مسافة زمنية قصيرة جداً ينبغي له اغتنامها للإعداد اللازم والشامل.

إذن، ما أقلّ الفرص المتاحة أمام الإمام الهادي عليه السلام للقيام بهذا العبء الثقيل حيث إنه لا بد له أن يجمع بين الدقة والحذر من جهة والإبلاغ العام ليفوّت الفرص على الحكّام ويعمّق للاُمّة مفهوم الانتظار والاستعداد للظهور والنهوض بوجه الظالمين. ولا أقل من إتمام الحجة على المسلمين ولو بواسطة المخلصين من أتباعه عليه السلام.

ومن هنا كان على الإمام الهادي عليه السلام تحقيقاً للأهداف الكبرى أن يتجنّب كل إثارة أو سوء ظن قد يوجّه له من قبل الحكّام المتربّصين به وبأبنائه من أجل أن يقوم بإنجاز الدور المرتقب منه، وهو تحقيق همزة الوصل الحقيقية بين ما حقّقه الأئمة الطاهرون من آبائه الكرام وما سوف ينبغي تحقيقه بواسطة ابنه وحفيده، ولهذا لم يُمهل الإمام الحسن العسكري سوى ست سنين فقط وهي أقصر عمر للإمامة في تاريخ أهل البيت عليهم السلام إذ دامت إمامة الإمام علي عليه السلام ثلاثين سنة والإمام الحسن السبط عشر سنين والإمام الحسين عشرين سنة والإمام زين العابدين خمساً أو أربعاً وثلاثين سنة، والإمام الباقر تسع عشرة سنة والإمام الصادق أربعاً وثلاثين سنة والإمام الكاظم خمساً وثلاثين سنة، والإمام الرضا عشرين سنة والإمام الجواد رغم قصر عمره كانت مدة إمامته سبع عشرة سنة والإمام الهادي أربعاً وثلاثين سنة.

وتأتي في هذا السياق كل الإجراءات التي قام بها الإمام الهادي عليه السلام من الحضور الرتيب في دار

الخلافـة وما حظـي به من مقام رفيع عند جميـع الأصناف والطبقات بدءً بالأمـراء والوزراء وقادة الجيش والكتّاب وعامة المرتبطين بالبلاط.

جانب النظم

إنّ مفهوم الإمامة الّذي يعني قيادة الأمّة إلى الخير والصلاح في الدنيا والآخرة اقتضى من الإمام أن يمارس النظم في المجتمع من أجل حمايته من حبائـل السلطة الغاشمة الّتي كانت تتربّص بالمؤمنين وبإمامهم عليه السلام الدوائر. فاتّبع الإمام أسلوب الوكالة للارتباط بأتباعه وشيعته في العالم، فكيف كان هذا النظام؟

كان الـوكلاء يتولّـون تنظيـم عمليّـة الاتّصـال بين الإمـام عليه السلام والشيعـة، خصوصـاً في العناوين التاليـة: تسلُّم الخمس من الشيعة وإيصاله للإمام عليه السلام، والإجابة عن المسائل الفقهيّة والعقائديّة، والتعريـف بالإمـام عليه السلام وتمهيد الأرضيّة له. وكان ارتباط هؤلاء بالإمام عليه السلام يتمّ غالباً من خلال كتب يرسلونها إليه مع من يوثق به.

وكان مـن وكلاء الإمـام الهـادي عليه السلام عليّ بن جعفـر الوكيل، وقد سُعي به إلى المتـوكل فقبض عليه وحُبس، وقضى فترة طويلة في السجن، وإبراهيم بن محمّد الهمدانيّ وغيرهما.

ولقـد نظّم الإمـام عليه السلام العلاقة بين الوكلاء أنفسهم، بحيث يبقى كلّ وكيل ضمن دائرة عمله بشكل منظّـم مـن دون التعرض لدائرة عمل الآخر. وقد كتب عليه السلام كتابـاً وجّهه إلى أيّوب بن نوح وكان من وكلائه عليه السلام أمره فيه بعدم الإكثار بينه وبين أبي عليّ وهو وكيل آخر وأن يلزم كلّ واحدٍ منهما ما وُكّل بـه وأمر بالقيام فيه في أمر ناحيته، وأوصـى أبا عليّ أيضاً بمثل ما أوصى به أيّوباً، وطلب من الاثنين أن يتولّى كلّ واحد منهما الشؤون الماليّة لما يليه من الشيعة وأن لا يقبلا شيئاً من أموال شيعة المناطق الأخرى.

ونظّم عليه السلام كذلك العلاقة بين الوكيل وبين الشيعة الموجودين في ناحيته، فاعتبر أنّ طاعة الوكيل هي طاعـة له عليه السلام، ففي كتاب لـه عليه السلام عن أبي عليّ بن راشد يقول: «فقـد أوجبت في طاعته طاعتي،

والخروج إلى عصيانه الخروج إلى عصياني، فالزموا الطريق يأجرْكم اللّه ويَزدكُم من فضله» . وأكّد علـى ضرورة تمهيد الطريق أمام الوكيل وتسهيل مهمّته، يقـول عليه السلام: «فعليك بالطاعة له والتسليم إليـه جميـع الحقّ قِبلـك، وأن تحضّ مواليّ علـى ذلك وتعرّفهم مـن ذلك ما يصير سببـاً إلى عونه وكفايته فذلك توفير علينا ومحبوب لدينا ولك به جزاء من اللّه وأجر» .

استشهاد الإمام الهادي عليه السلام

ظـلّ الإمـام الهادي عليه السلام يعـاني من ظلم الحـكّام وجورهم حتّى دُسّ إليه السمّ كمـا حدث لآبائه الطّاهريـن، وقد قال الإمام الحسن عليه السلام: «مـا منّا إلاّ مقتول أو مسموم» . وقال المسعودي: وقيل إنّه مات مسموماً ، ويؤيد ذلك ما جاء في الدّعاء الوارد في شهر رمضان: وضاعف العذاب على من شرك في دمه .

ويظهـر أنّـه اعتلّ من أثر السمّ الذي سُقي كما جاء فـي رواية محمّد بن الفرج عن أبي دعامة، حيث قـال: أتيت عليّ بن محمد عليه السلام عائداً في علّته التي كانـت وفاته منها، فلمّا هممت بالانصراف قال لي: يا أبا دعامة قد وجب عليّ حقّك، ألا أُحدّثك بحديث تسرّ به؟ قال: فقلت له: ما أحوجني إلى ذلك يا ابن رسول اللّه.

ونصّ عليه وأوصى إليـه بمشهد من ثقات أصحابه ومضى عليه السلام وله أربعـون سنة . ولما قضى نحبه تـولّى تغسيله وتكفينه والصلاة عليه ولده الإمام أبو محمّد الحسن العسكري عليه السلام وذلك لأنّ الإمام لا يتولّى أمره إلاّ الإمام.

ومـا انتشـر خبر رحيله إلى الرفيق الأعلى حتّى هرعت الجماهير من العامّة والخاصّة إلى دار الإمام عليه السلام وخيّم على سامراء جو من الحزن والحداد. ودفن في داره بسرّ من رأى.

خلاصة الدرس

- تسلّـم الإمــام الهادي عليه السلام الإمامة بعد استشهاد أبيه الجــواد عليه السلام، وكان له من العمر ثماني سنوات.
- مارس الإمام الهادي عليه السلام مهامّه القياديّة سنة ٢٢٠ هـ، وقد عاصر ستة من ملوك بني العباس.
- يعتــبر عهد المتوكل بداية العصــر العباسي الثاني، وهو عصر نفوذ الاتراك، واعتبره البعض بدء عصر انحلال الدولة العباسية الذي انتهى بسقوطها على أيدي التتار سنة (٦٥٦هـ). وقد انتهج المتوكل سياسة العنف ضد العلويين.
- كان المعتصم أول الخلفاء العباسيين الذين استعانوا بالأتراك.
- شاع في هذا العصر ترجمة الكتب اليونانية والفارسية والهندية.
- بقي الإمام الهادي عليه السلام تحت رقابة الحكام العباسيين مدّة تزيد على العشرين عاماً.
- كان وكلاء الإمام عليه السلام يتولّون تنظيم عملية الاتصال بينه وبين الشيعة.

أسئلة الدرس

١. ***كيف تصف الحكّام الّذين عاصرهم الإمام عليه السلام؟***

....

....

٢. ***كيف تفهم الجانب التهذيبيّ في منهج الإمام التربويّ؟***

....

....

٣. ***ما هي أهمّ الأسس الّتي اعتمدها الإمام في الجانب التنظيميّ؟***

....

....

٤. ***ضع علامة صحّ أو خطأ في المكان المناسب:***

أ. استشهد الإمام الهادي عليه السلام في زمن المعتزّ. (   )

ب. ليس هناك أي نصّ يدلّ على إمامة الهادي عليه السلام. (   )

ج. عاصر الإمام الهادي عليه السلام ثلاثة من الحكام الأمويين. (   )

د. اعتمد الإمام عليه السلام أسلوب الوكالة للاتصال بأتباعه. (   )

هـ. كُنّي عليه السلام بـ «أبي عبد الله». (   )

للمطالعة

علم الإمام باللّغات

قال أبو هاشم الجعفريّ: «كنت بالمدينة حتّى مرّ بها بغا أيّام الواثق في طلب الأعراب، فقال أبو الحسن: اخرجوا بنا حتّى ننظر إلى تعبيّة هذا التركيّ، فخرجنا فوقفنا، فمرّت بنا تعبيّته فمرّ بنا تركيّ فكلّمه أبو الحسن بالتركيّة فنزل عن فرسه فقبّل حافر دابته، قال: فحلّفت التركيّ وقلت له: ما قال لك الرجل؟ قال: هذا نبيّ؛ قال: ليس هذا بنبيّ، قال: دعاني باسم سُمِّيت به في صغري في بلاد الترك ما علمه أحد إلى الساعة».

قال عليّ بن مهزيار: «عن الطيّب الهادي عليه السلام قال: دخلت عليه فابتدأني فكلّمني بالفارسية».

وقال: «أرسلت إلى أبي الحسن عليه السلام غلامي وكان سقلابياً فرجع الغلام إليَّ متعجّباً، فقلت: ما لك يا بنيّ؟ قال: كيف لا أتعجّب؟ ما زال يكلّمني بالسقلابيّة كأنّه واحد منّا فظننت أنّه إنّما دار بينهم».

قال أبو هاشم: «كنت عند أبي الحسن عليه السلام وهو محدّر، فقلت للمتطبّب، (آب) رفت ثمّ التفت إليَّ وتبسّم وقال: تظنّ أن لا يحسن الفارسيّة غيرك؟ فقال له المتطبّب: جعلت فداك تحسنها؟ فقال: أمّا فارسيّة هذا فنعم».

٢١

الدرس الحادي والعشرون

الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام

الدرس الحادي والعشرون

الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام

أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى الظروف المحيطة بتسلّم الإمام العسكريّ عليه السلام للإمامة.

٢. أن يعرف الأسلوب الّذي اتّبعه الإمام عليه السلام في التمهيد للإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٣. أن يتعرّف إلى ظروف شهادة الإمام عليه السلام العسكري.

الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام في سطور

الولادة: ولد في المدينة في الثامن من ربيع الآخر سنة ٢٣٢.

الشهادة: استشهد يوم الجمعة الثامن من ربيع الأوّل سنة ٢٦٠ وعمره ٢٨ عاماً.

ألقابه: التقيّ، المرضيّ، النقيّ، الرفيق، الزكيّ، الصامت، الهادي، السراج، العسكريّ ، الخالص.

كنيته: أبو محمّد.

مدفنه: دفن مع أبيه الهادي عليه السلام في سامرّاء.

تمهيد

واصل الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام مهامّ الإمامة بعد والده الإمام الهادي عليه السلام. وعاصر في فترة إمامته القصيرة (ست سنوات) حكومة ثلاثة حكّام من العباسيين هم المعتزّ والمهتدي والمعتمد. وكانت المعاناة مع الدولة العبّاسية ما زالت شديدة؛ ففي غضون حكم المعتزّ قُتل الكثير من الأبرياء وسُجن من العلويّين أكثر من سبعين شخصاً من آل جعفر وآل عقيل. وبعد المعتز تسلَّم المهتدي الخلافة، وسجن الإمام عليه السلام، بل وحتّى اتّخذ قراراً بقتله إلّا أنّ الأجل لم يمهله فمات المهتدي.

وحدّث عليّ بن جعفر عن الحلبيّ: «اجتمعنا في العسكر وترصدنا لأبي محمّد عليه السلام يوم ركوبه، فخرج توقيعه: «ألا لا يسلّمنّ عليّ أحد، ولا يشير إليّ بيده، ولا يومئ، فإنّكم لا تؤمنون على أنفسكم» .

يقول أحمد بن محمّد: «كتبت إلى أبي محمّد (الإمام العسكريّ) حين أخذ المهتدي في قتل الموالي: يا

سيّـدي الحمد لله الذي شغله عنّا، فقد بلغني أنّـه يتهدّدك، ويقول والله لأجلينّهم عن جديد الأرض، فوقّـع أبـو محمّد عليه السلام بخطّـه: «ذلك أقصر لعمره، عـدّ من يومك هذا خمسة أيـام ويُقتل في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف يمرّ به»، فكان كما قال عليه السلام» .

وبعـد المهتـدي تسلَّم المعتـزّ زمام السلطـة، وفي عهده استشهـد الإمام العسكـريّ عليه السلام وقُتلت معه مجموعة من العلويّين. ويذكر بعض المصادر التاريخيّة أنّه قد تمّ قتل بعضهم بأفجع صورة وحتّى بعد القتل مثّلوا بأجسادهم .

الإمام العسكريّ عليه السلام والتمهيد للإمام المهديّ عجل الله فرجه .

إنّ المهمّة المميّزة في إمامته عليه السلام كانت التمهيد لولادة الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف وغيبته الصغرى والكبرى، والارتباط الصحيح به وضرورة الانتقال بالشيعة من نقطة اتّصال مباشرة بالمعصـوم إلى نقطـة اتّصال غير مباشـرة. وتعتبر هذه المرحلة من أدقّ المراحـل على الفكر الشيعيّ منذ النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إلى عهد الإمام العسكريّ، لذلك كان على الإمام أن يكثّف أحاديثه وأن يقوم عمليّاً، كما سيتّضح، بالتمهيد للغيبة.

ويمكن تلخيص دور الإمام عليه السلام في هذا الاتّجاه بما يلي:

١. النصّ على الإمام وتعريف شيعته به

عـن محمّد بـن عبد الجبّار قال: قلت لسيّـدي الحسن بن عليّ عليه السلام: يا بن رسـول الله، جعلني الله فداك، أحبّ أن أعلم من الإمام وحجّة الله على عباده من بعدك.

قـال عليه السلام: «إنّ الإمـام من بعدي ابني، سَميّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكنيُّه، الّذي هو خاتم حجج الله وآخر خلفائه».

قـال: ممّـن هو يا بن رسـول الله؟ قال عليه السلام: «من ابنة قيصر ملك الـروم، ألا إنّه سيولد ويغيب عن الناس غيبة طويلة ثمّ يظهر» .

عـن يعقوب بن منقوش قال: «دخلت علـى أبي محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام وهو جالس على دكّان في الـدار وعـن يمينه بيت عليه ستر مسبل، فقلـت: سيّدي، من صاحب هذا الأمـر؟ فقال: ارفع الستر، فرفعتـه فخـرج إلينا غلام خماسيّ له عشر أو ثمان أو نحو ذلـك، واضح الجبين، أبيض الوجه، درّيّ المقلتـين، شثـن الكفّين، معطوف الركبتين، في خـدّه الأيمن خال، وفي رأسه ذؤابـة، فجلس على فخذ

أبي محمّد عليه السلام ثمّ قال لي: هذا صاحبكم، ثمّ وثب فقال له: يا بُنيّ ادخل إلى الوقت المعلوم، فدخل البيت وأنا أنظر إليه، ثمّ قال لي: يا يعقوب،
انظر من في البيت، فدخلت فما رأيت أحداً» .

٢. التأكيد على الصبر وانتظار الفرج

إنّ انتظـار فرج الإمـام عليه السلام من العبادات بل من أفضل الأعمال كما في الأحاديث المباركة. فإنّ أوّل مـا يتوجّـب على الإنسان هو الصبر عند طول الغيبة. وما يؤكّد على ذلك الرسالة التي أرسلها الإمام عليه السلام إلى عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي، الّتي جاء فيها: «عليك بالصبر وانتظار الفرج».
روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : «أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج» .

٣. التحذير من الشكّ والضعف

فروي عنه عليه السلام: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة المتمسّك فيها بدينه كالخارط شوك القتاد بيده» .

٤. التمهيد العمليّ للغيبة

والمقصود بذلك أنّ الإمام عليه السلام عيّن وكلاء وسفراء من خاصّة أصحابه لتبليغ تعليماته وأحكامه إلى شيعتـه، وذلك بأسلوب التوقيعـات والمكاتبات، وهذا يعتبر تمهيداً عمليّاً لمـا سيحصل في زمن الغيبة الصغرى.

٥. مدرسة الفقهاء

اتّسـم عصـر الإمـام العسكريّ عليه السلام ومن قبلـه عصر الإمامـين الهادي والرضـا عليهما السلام باتساع رقعة التشيّع، واتضاح معالم المدرسة الشيعيّة، ولذلك دعوا إلى اتّباع مدرسة الفقهاء الّتي تميّزت ما سواها بعدّة أمور منها:

١. اعتماد الكتاب والسنّة مصدراً للتشريع الإسلاميّ.
٢. الرجوع في تعلّم الأحكام إلى المعصوم إن أمكن.
٣. الرجوع إلى الفقهاء الثقات حيث لا يمكن أو يتعسّر الرجوع إلى الإمام المعصوم.

وقـد أيّـد الإمام العسكـريّ عليه السلام جملة من الكتـب الفقهية والأصول في عصـره أو قبل عصره. وقد

أُحصيت أسماء أصحاب الإمام عليه السلام ورواة حديثه فبلغوا ٢١٣ شخصاً، منهم:

- أحمد بن إسحاق الأشعريّ القمّي: وهو من الأصحاب المقرّبين للإمام عليه السلام، ويعدّ كبير القمّيين وكان يحمل مسائل أهل قمّ إليه عليه السلام.

- أبو هاشم داود بن القاسم الجعفريّ: وهو من أحفاد جعفر الطيّار ومن أعظم رجال أهل بيته وأهل بغداد، وكانت له منزلة رفيعة ومقام محمود عند الأئمّة عليهم السلام.

- عبد الله بن جعفر الحميريّ: من أبرز رجال قمّ المقدّسة، له كتاب (قرب الإسناد).

- أبو عمرو عثمان بن سعيد العمريّ: وهو النائب الأوّل للإمام القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف. وكان من كبار وكلاء الإمام الهادي عليه السلام والعسكريّ عليه السلام.

شهادة الإمام العسكريّ عليه السلام

قال أبو الأديان: «كنت أخدم الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام وأحمل كتبه إلى الأمصار فدخلت عليه في علّته التي توفّي فيها صلوات الله عليه فكتب معي كتباً وقال: امض بها إلى المدائن فإنّك ستغيب خمسة عشر يوماً وتدخل إلى سُرَّ مَنْ رأى يوم الخامس عشر وتسمع الواعية في داري وتجدني على المغتسل، قال أبو الأديان: فقلت: يا سيدي فإذا كان ذلك فمن؟ قال: من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم من بعدي. فقلت: زدني، فقال: من يصلّي عليَّ فهو القائم بعدي».

فقلت: زدني، فقال: «من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي».

ثم منعتني هيبته أن أسأله عمّا في الهميان.

وخرجت بالكتب إلى المدائن وأخذت جواباتها ودخلت سُرّ مَنْ رأى يوم الخامس عشر كما ذكر لي عليه السلام فإذا أنا بالواعية في داره وإذا به على المغتسل وإذا أنا بجعفر بن عليّ أخيه بباب الدار والشيعة من حوله يعزّونه ويهنّئونه فقلت في نفسي: إن يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامة،... تقدّم جعفر ليصلّي على أخيه فلمّا همّ بالتكبير خرج صبيّ بوجهه سمرة بشعره قطط بأسنانه تفليج فجذب برداء جعفر بن عليّ وقال: «تأخّر يا عمّ أنا أحقّ بالصلاة على أبي فتأخّر جعفر وقد اربدّ وجهه واصفرّ. فتقدّم الصبيّ وصلّى عليه ودُفن إلى جانب قبر أبيه، ثمّ قال: يا بصري هات جوابات الكتب التي معك فدفعتها إليه، فقلت في نفسي: هذه بيّنتان،... الخ».

خلاصة الدرس

- تسلّم الإمام العسكري الإمامة بعد استشهاد والده الإمام الهادي عليه السلام، والتي دامت ست سنوات.
- عاصر خلال ولايته ثلاثة من الحكام العباسيين هم: المعتزّ، المهتدي والمعتصم.
- كانت المهمة المميزة في إمامته التمهيد لولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وغيبته الصغرى والكبرى.
- ويمكن تلخيص دور الإمام عليه السلام هذا الاتجاه بما يلي:

١. النص على إمامة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وتعريف شيعته به.

٢. التأكيد على الصبر وانتظار الفرج.

٣. التحذير من الشك والضعف.

٤. التمهيد العملي للغيبة.

٥. الدعوة إلى اتباع مدرسة الفقهاء.

أسئلة الدرس

١. ***ما هي أهمّ الأمور الّتي قام بها الإمام عليه السلام من أجل التمهيد للغيبة؟***

....

....

....

٢. ***ما هي مدرسة الفقهاء الّتي كانت في عصر الإمامين الهادي والعسكريّ عليهما السلام ؟***

....

....

٣. ***ماذا تعرف عن ظروف شهادة الإمام العسكريّ عليه السلام؟***

....

....

٤. ***ضع علامة صحّ أو خطأ في المكان المناسب:***

أ. سجن الإمام العسكري عليه السلام في عهد المهتدي العباسي. (   )

ب. عين الإمام العسكري عليه السلام وكلاء وسفراء لتبليغ تعليماته. (   )

ج. كُنيى الإمام عليه السلام بـ«أبي محمّد». (   )

د. استشهد الإمام العسكري عليه السلام على يد هارون الرشيد. (   )

هـ. قال الإمام العسكري «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج». (   )

للمطالعة

رسالة الإمام عليه السلام إلى أحد من كبار علماء الشيعة في قمّ، الشيخ الجليل عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي وهو من أكبر فقهاء الشيعة، وهذا نصّها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتّقين، والجنّة للموحّدين، والنار للملحدين، ولا عدوان إلّا على الظالمين، ولا إله إلّا الله أحسن الخالقين، والصلاة على خير خلقه محمّد وعترته الطاهرين.

أمّا بعد، أوصيك يا شيخي ومعتمدي وفقيهي أبا الحسن عليّ بن الحسين القمّي وفّقك الله لمرضاته وجعل من صلبك أولاداً صالحين برحمته بتقوى الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فإنّه لا تقبل الصلاة من مانع الزكاة، وأوصيك بمغفرة الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم ومواساة الإخوان والسعي في حوائجهم في العسر واليسر والحلم عند الجهل والتفقّه في الدين والتثبّت في الأمور والتعاهد للقرآن وحسن الخلق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ...﴾[1] واجتناب الفواحش كلّها وعليك بصلاة الليل، ومن استخفّ بصلاة الليل فليس منّا فاعمل بوصيّتي وأمر جميع شيعتي بما أمرتك به حتّى يعملوا عليه وعليك بالصبر وانتظار الفرج فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج، ولا تزال شيعتنا في حزن حتّى يظهر ولدي الذي بشّر به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وهو الإمام القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف فاصبر يا شيخي ومعتمدي أبا الحسن وأمر جميع شيعتي بالصبر فإنّ الأرض لله يورثها من عباده من يشاء والعاقبة للمتّقين والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير».

---

(١) النساء:١١٤.

٢٢

الدرس الثاني والعشرون

الإمام محمد بن الحسن المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف

الدرس الثاني والعشرون

الإمام محمد بن الحسن المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف

أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن الطالب حقيقة الاعتقاد بالإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٢. أن يميّز بين الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى.

٣. أن يتبيّن آداب العلاقة بالإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف.

الإمام محمد بن الحسن المهديّ عليه السلام في سطور

الولادة: وُلد الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف الجمعة منتصف شهر شعبان سنة (٢٥٥هـ) في مدينة سامرّاء.

ألقابه: بقيّة الله، الحجّة، الخلف الصالح، القائم، المهديّ، المنتظر.

كنيته: أبو القاسم.

عمره الشريف: لا يزال حيّاً إلى أن يشاء الله. وسوف يظهر بإذن الله في يوم من الأيام ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

الإيمان بالمهدي عليه السلام تجسيد لحاجة فطرية

إنّ ظهور الإيمان بفكرة حتمية ظهور المنقذ العالمي في الفكر الإنساني عموماً يكشف عن وجود أسس متينة قوية تستند إليها تنطلق من الفطرة الإنسانية.

يقول الشهيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره: «ليس المهدي عليه السلام تجسيداً لعقيدة إسلامية ذات طابع ديني فحسب، بل هو عنوانٌ لطموح اتجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغة لإلهام فطري أدرك الناس من خلاله ـ على تنوع عقائدهم ووسائلهم إلى الغيب ـ أن للإنسانية يوماً موعوداً على الأرض تحقق فيه رسالات السماء مغزاها الكبير وهدفها النهائي، وتجد فيه المسيرة المكدودة للإنسان على مرِّ التأريخ استقرارها وطمأنينتها بعد عناء طويل....».

حتمية الإيمان بالمنقذ بين الديانات السماوية

يعتبر الإيمان بحتمية ظهور المصلح الديني العالمي وإقامة الدولة الإلهية العادلة في كل الأرض من نقاط الاشتراك البارزة بين جميع الأديان ، والاختلاف فيما بينها إنّما هو في تحديد هوية هذا المصلح الديني العالمي الذي يحقق جميع أهداف الأنبياء عليهم السلام.

والملاحظ أن هذه العقيدة تمثّل أصلاً مشتركاً في دعوات الأنبياء عليهم السلام، حيث إن كل دعوة نبوية - وعلى الأقل الدعوات الرئيسة والكبرى - تُمثل خطوة على طريق التمهيد لظهور المصلح الديني العالمي الذي يحقق أهداف هذه الدعوات كافة:

- اليهود: الإيمان بفكرة ظهور المصلح ثابت عند اليهود مدوّن في التوراة والمصادر الدينية المعتبرة عندهم. وقد فصّل الحديث عن هذه العقيدة عند اليهود كثير من الباحثين المعاصرين خاصةً في العالم الغربي مثل جورج رذرفورد في كتابه: «ملايين من الذين هم أحياء اليوم لن يموتوا أبداً»، والسناتور الأميركي بول منزلي في كتابه: «من يجرؤ على الكلام»، وغيرهما كثير .

وبغض النظر عن مناقشة صحة ما ورد من تفصيلات في هذه العقيدة عند اليهود، إلاّ أن المقدار الثابت هو أنها فكرة متأصلة في تراثهم الديني وبقوة بالغة مكّنت اليهودية - من خلال تحريف تفصيلاتها ومصاديقها - أن تقيم على أساسها تحركاً استراتيجياً طويل المدى وطويل النفس، استقطبت له الطاقات اليهودية المتباينة الأفكار والاتجاهات، ونجحت في تجميع جهودها وتحريكها باتجاه تحقيق ما صوّره قادة اليهودية لأتباعهم على أنه مصداق التمهيد لظهور المنقذ الموعود.

- النصارى: كما آمن النصارى بأصل هذه الفكرة استناداً إلى مجموعة من الآيات والبشارات الموجودة في الإنجيل والتوراة. ويصرح علماء الإنجيل بالإيمان بحتمية عودة عيسى المسيح في آخر الزمان ليقود البشرية في ثورة عالمية كبرى يعم بعدها الأمن والسلام كل الأرض كما يقول القس الألماني فندر في كتابه «ميزان الحق» ، وأنه يلجأ إلى القوة والسيف لإقامة الدولة العالمية العادلة. وهذا هو الاعتقاد السائد لدى مختلف فرق النصارى.

حتمية ظهور المصلح في المدارس الفكرية المختلفة

الملاحظ أن الإيمان بحتمية ظهور المصلح العالمي ودولته العادلة لا يختص بالأديان السماوية بل يشمل المدارس الفكرية والفلسفية غير الدينية أيضاً. فنجد في التراث الفكري الإنساني الكثير من

التصريحات بهذه الحتمية:

فمثـلاً يقـول المفكر البريطاني برترانـد رسل: «إن العـالم في انتظار مصلح يُوحّـده تحت لواء واحد وشعار واحد».

ويقول ألبرت اينشتاين صاحب النظرية النسبية: «إن اليوم الذي يسود العالمَ كله فيه السلام والصفاء ويكونُ الناس متحابين متآخين ليس ببعيد».

وبشّـر المفكـر الايرلندي المشهور برنارد شو، بصراحة، بحتمية ظهـور المصلح وبلزوم أن يكون عمره طويلاً يسبق ظهوره؛ بما يقترب من عقيدة الإمامية في طول عمر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريـف؛ ويرى ذلـك ضرورياً لإقامة الدولة الموعـودة، في وصف المصلح بأنـه: «إنسانٌ حيٌّ ذو بنية جسديـة صحيحة وطاقة عقلية خارقة، إنسانٌ أعلـى يترقى إليه هذا الإنسان الأدنى بعد جهد طويل، وأنـه يطول عمُـرهُ حتى ينيف على ثلاثمائة سنة ويستطيع أن ينتفع بمـا استجمعه من أطوار العصور وما استجمعه من أطوار حياته الطويلة».

عقيدة الإمامية بالمهدي

لقد تواترت الأخبار والروايات الصادرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام التي تبشّر بالمهدي، وبظهوره في آخـر الزمـان لينشر العدل، وينصـر المستضعفين في العالم. ويعتقد المسلمـون بأن قضية المهدوية والإمـام المهـدي ضرورة مـن ضروريات الإسلام على مستـوى كون إمامته امتـداداً لنبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله وقيـادة البشرية، وعالمية دولته، وكونه الإمام المفروض الطاعة، وذلك على قاعدة أن الإمامة رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا، ووظائفها مستمدّة من النبوّة، لناحية قيادة المجتمع وإدارة شؤون الأمة والدولة، ومرجعية دينية، وولاية أمر عامة للمسلمين كافة.

وإن ما يعزّز عقيدة المسلمين بالمهدي مجموعة الأخبار التي أكّدت أن الأرض لا تخلو من حجة لله على الأرض:

- روي عـن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ علياً إمـام أمتي من بعدي، ومن وُلده القائم المنتظر الذي إذا ظهر يملأ الأرض عدلاً وقسطاً».

- وذكـر الشيـخ الكليني في الكافي ثلاث عشـرة رواية تتحدّث عن أن الأرض لا تخلو من حجة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله أجلُّ وأعظم من أن يترك الأرض بغير إمام عادل».

- وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «والله ما ترك الله أرضاً منذ قبض آدم عليه السلام إلا وفيها إمام يهتدى

به إلى الله وهو حجته على عباده، ولا تبقى الأرض بغير إمام حجّة لله على عباده».

- وعنه أيضاً: «لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها، كما يموج البحر بأهله» .

وقد حدّدت الروايات المقصود بالحجّة وأنه الإمام المهدي، فعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «إن الحجّة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام حتى يعرف» وورد روايتان بنفس المضمون عن الإمامين الرضا والصادق عليهما السلام، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الإمام» وعنه: «إن آخر من يموت الإمام لئلا يحتجّ أحدٌ على الله عزّ وجلّ أنه تركه بغير حجّة لله عليه» .

وتؤكّد الأخبار على أن انتظار الفرج أفضل العبادة، وهو في توأمة مع الجهاد، فقد سأل شخص الإمام الصادق عليه السلام: ماذا تقول فيمن مات وهو على ولاية الأئمة بانتظار ظهور حكومة الحق؟

فقال عليه السلام: «هو بمنزلة من كان مع القائم في فسطاطه - ثم سكت هنيئة - ثم قال: هو كمن كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

ونقل هذا المضمون في روايات كثيرة منها: أنه بمنزلة المجاهد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنه بمنزلة من استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنه بمنزلة من كان قاعداً تحت لواء القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف .